

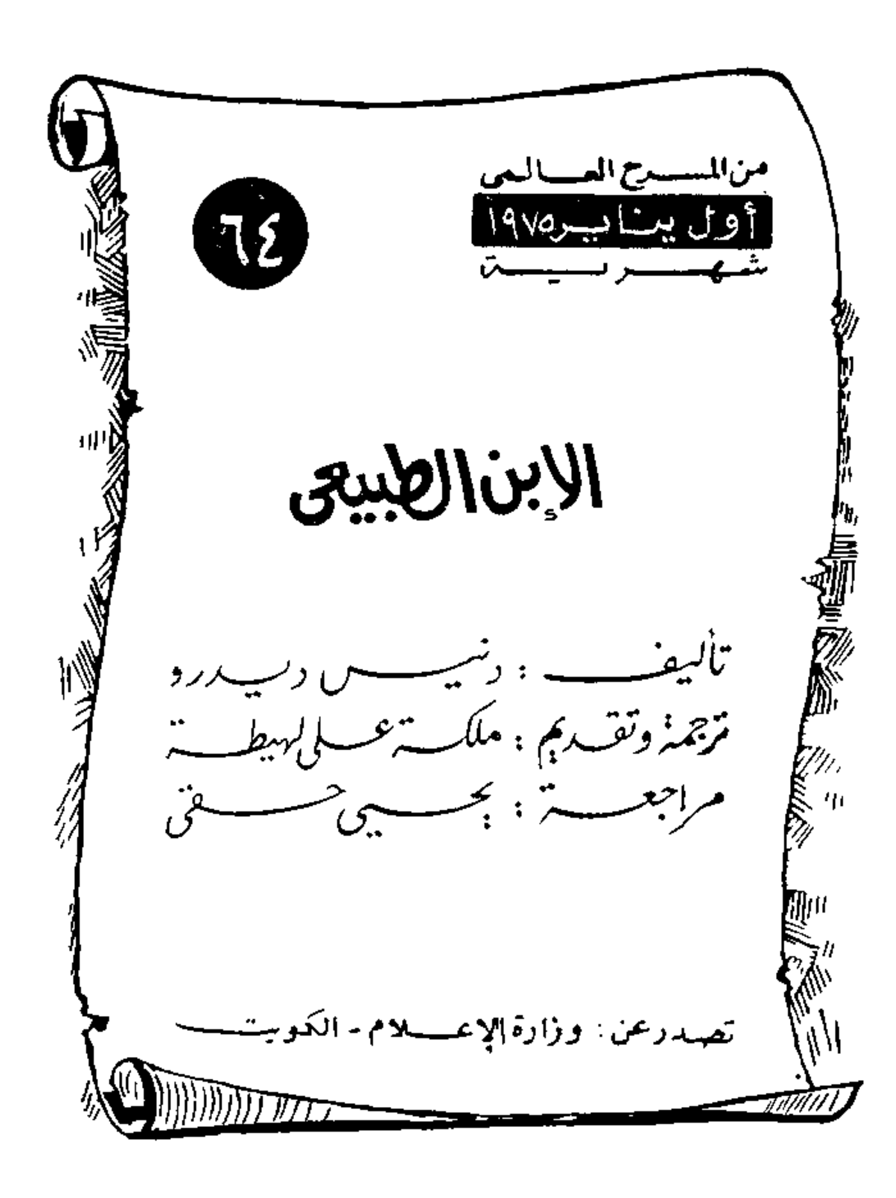
تليجرام : هنا سور الازبكية
أكبر مكتبة رقمية

الابن الطبيعى

تأليف : دنيس ديدرو
ترجمة وتقديم : ملكة على لهيطة
مراجعة : يحيى حقى



5786


من المسرح العالمي
أول يناير ١٩٧٥
شهرية
٦٤
الابن الطبيعي
تأليف : دنيس ديدرو
ترجمة وتقديم : ملكة على لهيطة
مراجعة : يحيى حقي
تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

مقدمــــة

بقلم المترجم

ربما لايوجد في تاريخ الأدب الفرنسي كله كاتب لم تتفق الآراء على أعماله ، كما حدث مع « ديدرو » وهذا لاننا لا نجد مؤلفا أكثر نشاطا منه في جميع مجالات الادب ، وفي الوقت نفسه أكثر تناقضا ، فانه وضع أمام عينيه أن يكون مفكرا وفيلسوفا ؛ كاتبا وفنانا ، ومن أجل هذين الهدفين ، اضطر في كل مرة الى الرجوع الى قدرتين لا تتنافران بالضرورة ، ولكنهما مختلفتان تمام الاختلاف الا وهما : ذكاء ناضج رزين يقوده المنطق والخبرة ، وشفافيه مواتية نابعة من اعماق القلب والعبقرية والحماس . فلقد قرأ وحلل وناقش بذكائه هذا عشرين علما من العلوم ومئات من النظم ولقد تصور نفسه « مضطجعا في عدم اكتراث على الأريكة وقد اسدل ستائر الحجرة وقد حبك قلنسوته على عينيه وانشغل في تحليل بعض الأفكار » ، ولكن بجانب هذا كان عندما يتكلم عن الشعر ، والقصص ، والرسم ، وحتى عند دراسته للطرق العلمية واسرار الاكتشافات ، كان لا يرجع الى العقل والتعقل ولكنه كان يبحث عن أصل كل ذلك في « وحي » من « حماس وتحمس » « وحتى في نوع » من الهذيان الفلسفي يتملك على الشاعر او الروائي او الرسام او العالم نفسه ذلك لان اعظم الافكار واخصبها لدى عالم الطبيعة أو النبات أو الطبيب لا تنبع من القلب فقط . ومن ناحية اخرى يبدو التناقض واضحا اذا ما أمعنا في تفاصيل آراء « ديدرو » فلقد كان يفاخر بأنه غريب الاطوار ، « يعيش على طبيعته » رجل لم يفسده الكذب المسيطر على حضارة مزيفة ، لانه كان يعتقد ان الحياة على سجيتها أفضل حياة ، ولكن بينما نجده في شهر من الشهور لايكف عن التحدث عن ثقته في الخير ، الذي يكمن في الانسان بفطرته ، نجده في الشهر التالي يتألم من انحراف هذا الانسان ، وكل عمله الادبي يقوم على اساس التقدم البشري فكل تنبؤات « ديدرو » مبنية على الامل ، في ان يصبح الانسان أفضل حياة ، واكثر سعادة ولكن « ديدرو » من جهة أخرى كان متأثرا بفكرة « انه لا يوجد تقدم دائم ، وانه ليس من المفيد ان ترتفع بقيمة الفرد ارتفاعا كبيرا حتى لانجعله يهوى من عليائه . فان تاريخ الانسان ، ربما لايتعدى تاريخ دورات تمشي فيها الانسانية ، وهي معصوبة الاعين لتعود الى نقطة البداية . ولقد لازمته هذه الفكرة وهو يكتب « الموسوعة » كما تسلطت عليه عشرين سنة بعد الموسوعة في مؤلفاته الأخيرة حيث يقول : « لقد توارد على فكرى كثيرا ، ان كل ما ينتاب الفرد من خير ومن شر يتغير حسب كل فرد ، ولكن سعادة نوع معين من الحيوانات أو تعاسته لها حدود ، لايمكن أن يتعداها هذا النوع ..

وانی أتمنی أن یمکن للانسان فی أن یؤجل ولو لعدة قرون ، الحکم الصادر ضد کل شیء فی هذا العالم ، هذا الحکم الذی قضی علی الکائن بأن یولد ویقوی ویهرم ثم ینتهی » . وعلی ذلك فان کل المجهودات التی یبذلها « دیدرو » لا نتیجة لها هل یمکن أن نفید الانسان ؟ ! وهل هناك شیء نحن واثقون منه أکثر من أننا لانفعل شیئا فی الحقیقة الا للترفیه عن هذا الانسان ، وانه لا فرق یذکر بین الفیلسوف ونافخ المزمار ؟

ومن بین القضایا التی کان التقدم سببا فی وجودها مشکلة الترف ، فهذه مسألة معقدة وغیر واضحة — أین یبدأ الترف ؟ ، ان الکوخ یعتبر ترفا بالنسبة للکهف ، والمناقشات عن الترف تطول ، فی القرن الثامن عشر ، بدأ « فولتیر » یمتدح الترف ثم اعترف بأخطاره وانتهی فی مناقشته له الی نتائج تدل علی الحذر . أما « دیدرو » ففکره یتأرجح ، وهو لایحب أن یکون الترف حبا للمظاهر فقط — ، وهو یتردد دائما بین البساطة المتطرفة ، وبین الراحة التی یشعر بها عندما یجلس علی کرسی مریح ، أو یأکل أکلة طیبة ، هذه اللذات التی تجعل النقود فی حرکة دائمة ، وتعیش علیها مجموعات من الحرفیین بأکملها . ولنذکر أنه کان ضروریا أن یبحث « دیدرو » مشکلة التنظیم الاجتماعی والقانون ، لأن المغزی الأدبی الذینجنیه من اعماله کلها ما هو الا ادب اجتماعی ، والتقدم الذی یراه فی المجتمع انما هو تقدم اجتماعی ، وکل مجتمع یقوم علی قوانین متبعة ، ولکن هناك قوانین ظالمة أو قوانین مؤذیة ، یری الانسان المتبصر أنها غیر عادلة ومؤذیة ، فهل یجب اتباعها أو عدم اتباعها بطریقة او بأخری ، ان النتائج التی توصل الیها « دیدرو » فی هذا الشأن نتائج غیر ثابتة ان لم تکن متناقضة ، وکذلك نری عدم التأکد والثبوت فیما یخص الخلق الفنی ، فکیف یصل الفنان الی الانتاج الفنی ؟ أتتبع أعماله الفنیة عقله ؟ أو علی الأقل یقوم بهذا العمل وهو یعرف تماما وبکل وضوح الهدف الذی یرمی الیه ، والطرق المؤدیة الیه ، أم أن هناك وحیا خفیا أو « نفثة » تدفعالانسان العبقری دون أن یعرف هذا الانسان وجهته ؟ وکم من الأعمال أظهر فیها « دیدرو » أنه یعتمد علی الوحی والنفثة ولیس علی العقل البعید النظر ، والقواعد الموضوعة، فبالنسبة له : الکاتب الکبیر والکاتب المسرحی الناجح والشاعر الموهوب . مثل شکسبیر ، واوسیان ، هو الذی یسهم وعیناه زائغتان وشعره تعبث به الریح فی جو رومانتیکی لا یری ولا یسمع الا ما یملیه علیه حلم فی دخیلة نفسه . ان ماتخلقه العبقریة وما یمثل المسرح الحقیقی ، والشعر الحقیقی والقصة الحقیقیة ، لیس التراجیدیة ولا حتی مسرحیات « مولییر » المضحکة ، ولا شعر « مالیرب » ولا شعر « بوالو » بل هو ما نری فیه شیئا حیا ملیئا بالحرارة والضوضاء تماما کالحیاة ، أو حتی شیئا « ضخما همجیا موحشا » . وبالرغم من ذلك فان « دیدرو » کثیرا ما دافع عن مبادیء الفن الناتج عن عقل کلاسیکی ، وذوق متمعن ، الفن الذی یتبع قواعد لها قیمة خالدة . « فدیدرو » لایکتب فقط مسرحیات تحررت من کل قواعد التراجیدیة ، ولکنه یتوق الی أن یکتب مأساة من هذا النوع الکلاسیکی ، وقد شرع فعلا فی کتابة نماذج منها .

ولقد اعترف « ديدرو » نفسه ، واعترف هؤلاء الذين يعرفونه خير المعرفة أنه كان من الصعب جدا ، وأحيانا من غير الممكن على الاطلاق ، أن تكون أفكاره دائما موحدة . فلكى يختار بين النظامين المتناقضين وهما المادية التى لاتعترف بالاخلاق ، والتهذيب الاخلاقي الذى يتطلب الحرية ، كتب قصتي « جاك » الذى يعتقد بالقضاء والقدر و ابن أخ « رامو » ، ولكن عندما يصل القارىء الى نهايتهما، يرى التناقض قد وصل فيهما الى القمة . فان « ديدرو » كما يقول هو عن نفسه « متأرجح » لا يجد « مرساة يرسو بها » ولقد قال « نيجون » الذى كل يعرفه حق المعرفة « اننى لا أعتقد أنه يوجد مخلوق آخر فيه هذه المتناقضات ، فانه ولد وله خيال واسع قوى واستعداد للتحمس » ولكنه كان يعرف كيف يخضع «القاضيين لا يشتريان بسهولة ، الا وهما التجربة والحساب ولكن لم يكن هذا الخضوع الا مؤقتا ، وحتى نهاية حياته فان أفكار « ديدرو » وأعماله الفنية ، ظلتا تجذبهما قوتان فى اتجاهين متضادين . وعلى الرغم من ذلك فاننا نجد عنده « وحدة » فان كل مخلوق حى له وحدة و الا فانه لايعتبر حيا ، وكل فكرة لها نوع من الوحدة ، والا اعتبرت مجموعة من الافكار المتتابعة التى لايربطها رابط ، وهذه الوحدة نجدها فى طبع « ديدرو » ولا يمكننا أن نفهم العمل الفنى بعامة ــ واعمال « ديدرو »بخاصة ان لم تكن قد درسنا طبع الكاتب ومزاجه .

« حياة ديدرو ١٧١٣ ــ ١٧٨٤ »

طفولته :

ولد « دنيس ديدرو » فى مدينة « لانجر » عام ١٧١٣ من عائلة بورجوازية غنية فلقد كان والده فى الحقيقة تاجر سكاكين ، وكان يستطيع أن يصنعها ، ولكنه كان أستاذا فى مهنته ــ أى أنه كان من اهم سكان مدينة « لانجر » الصغيرة ، ولقد ترك عند مماته ثروة طائلة ولم تحط « ديدرو » في حياته الاولى عادات أو أعمال مبتذلة ، وقد نشأ وسط عائلة متدينة راجحة العقل شديدة الامانة ، محترمة من الجميع .. وكانت مدينة « لانجر » فى القرن الثامن عشر ، كما هي الآن في القرن العشرين ، مدينة تكثر فيها التجارة المحدودة ، والاديرة والكنائس ، محبوسة فى عاداتها كما هى محبوسة داخل أسوارها الضيقة ، ولا يدين « ديدرو » لأحد ــ بل لنفسه فقط ــ بما جعله هذا العبقرى الحاد الطبع الكثير الشغب .

شبابه :

ومنذ شبابه اتسم بما اتسم به دائما فيما بعد ، فكان فى مدرسة « الجيزويت » في « لانجر » تلميذا لامعا ، ولكن كان مشاغبا ، فكان يعود يوم توزيع الجوائز على التلاميذ المجدين فى نهاية العام ، وذرراعاه محملتان بالجوائز وكتفاه مزينان بالتيجان التى كان قد فاز بها ، والتى كانت لاتساعها لا تركز على جبهته وتسقط من رأسه على كتفيه وكان يحب والده حتى العبادة ، ولا يتكلم عنه الا بكل احترام ،

ولكنه كان يسبب لهذا الاب كثيرا من المتاعب : المشاغبة فى المدرسة ، ومشروع فراره الى باريس للدراسة بها مع زميل له ، ثم زواجه من عاملة فقيرة ـ هـذا الزواج الذى يثير كرامة تاجر السكاكين ، وحياة التشرد التى اختارها لنفسـه ، والتى لا يستسيغها والده المحب للحياة المنتظمة المنظمة ، ولكن بالرغم من كل ذلك فقد كان الأب فخورا بابنه ينتظر له ربما فى قرارة نفسه مستقبلا عظيما فى العاصمة، ولذلك فقد اصطحبه ليدخله مدرسة ثانوية مشهورة ، ولم يحدث أي تغيير فى طبيعة « ديدرو » خلال السنوات الاربع التى قضاها فى هذه المدرسة ، وبقى كما كان دائما مثالا للذكاء المفرط ، والعمل الدائب وليس مثالا للحكمة .

ثم جاء دور البحث عن عمل ، فلقد رجع والده عن فكرة جعله تاجرا للسكاكين مثله ، وأراد أن يجد ابنه فى العاصمة عملا مشرفا ، فأدخل الشاب للتمرين لدى محام ، وبقى عنده عامين ، نفد صبره بعدهما ، فقرر أن يتبع هواه فى الحياة ، أي الا يفعل الا ما يحلو له دون مورد الا ماتجىء به الصدفة ، وقليل من المهارة ، فبدات حياة « ديدرو البوهيمية » التى قام اثناءها بكتابة الخطب الدينية ، لقسيس فاضل ، وبتدريس الرياضيات دون سابق معرفة بها ثم محصل لدى رجل مالى ، ولم يكن « ديدرو » وحده هو الذى يفضل المخاطرات فى مجال الفكر والتأليف والكسل ، على حياة متوسطة يغلب فيها النظام . بل كان هناك عدد كبير من هؤلاء الناس ومن بينهم أدباء وأناس يستحقون التقدير . فعندما بدأ « ديدرو » هـذه الحياة لم يعش وحيدا بل كان يشارك زملاء يحبون الضحك والمرح واكتسب فيهـا خبرة ومعلومات كثيرة كما اختبر فيها الحياة الحرة المنطقية ، ولقد كتب في عـام ١٧٦٦ : « كنت أفكر مثل الانسـان الحكيم وكنت أتصرف كالمجنون » ثم فى أواخـر حياته وهو يكتب دراسته عن « كلود ونيرون » « آه ! لو كنت قد قرأت قبل ذلك اعمال سنيك . لو كنت قد تشبعت بمبادئه عندما كنت فى الثلاثين من عمري ... »

زواجـه :

ربما لو كان قد تشبع بهذه المبادىء لما أقدم على هذا الزواج الرومانتيكى الذى سمم حياته كلها ، فلقد كانت تسكن فى نفس الدور من المنزل الذى يقيم فيه « بائعة ملابس داخلية ومفروشات » وابنتها الشابة ، فرأت هذه الأخيرة « ديدرو » ورآها هو ووجد تعاطفا بينهما وتوثقت علاقة « انطوانيت شمبيون » « بديدرو » فوعدها « ديدرو » بكل أمانة بالزواج ، ولكن لكى يحدث هذا الزواج ، يجب عليه أن يحصل على موافقة والده ، الذى ثارت ثائرته عندما علم برغبة ابنه ، وطبقـا لما كان متبعا حينذاك ، حاول أن يقلل من حرارة حب « هذا الطائش » بأن أدخله الدير ولكن « ديدرو » فر من هذا السجن البغيض ، وعاد الى باريس مشيا على الأقدام ، وتزوج سرا فى عام ١٧٤٣ ، ورفض الوالد طويلا أن يستقبل زوجة ابنه فى بيته ، ولكنه تصالح أخيرا معه .

وكانت انطوانيت اقرب الى الطبقة البورجوازية الصغيرة ، منها الى الشعب، وكانت أمها فى الحقيقة تملك تجارة بسيطة ، ولقد أحبت دون شك « دنيس »

الشاب كما أحبها هو ، والرسائل التي كان « ديدرو » يوجهها اليها في أول علاقتهما، مليئة بعبارات الحب والهيام ، ولكن لم يكن لهذا الحب أن يصمد مع الزمن ، فأخلاق الزوجين دون شك لا يمكن أن تتفق ، فقد كانت « انطوانيت » ربة بيت من الدرجة الأولى ، وبكل تأكيد كانت زوجة أمينة ومخلصة ، ولكن ربما لم يمكنها أن تفقه شيئا مما يحبب الحياة « لديدرو » فالفلسفة ، والفن عندها ليس لهما حساب . الا تبعا لما يجلبانه من نقود في خزينة الزوجين ، وفيما عدا ذلك فان « انطوانيت » لم تكن تهتم الا ببيتها ، وثرثرة النساء .

ويروى عنها أنها كانت تتشاجر دائما مع الخدم ، وتملأ المنزل بالضوضاء مما كان يمنع « ديدرو » من تأملاته الفلسفية ، وربما يرى البعض في هذا سبب فرار «ديدرو » الدائم من المنزل والعلاقة القوية التي قامت بينه وبين « صوفي فولان » التي تعرف بها عام ١٧٥٦ وكان هدوء هذه وشغفها بالفلسفة قد قرباها الى « ديدرو » حيث أنه وجد فيها ما لم يكن موجودا في زوجته .

ولعلنا لا ننسى ، عندما نود ان نفهم مكانة « القلب » ـ الذي كان دائما في صراع مع العقل في حياة « ديدرو » ـ أن نشير الى علاقته بأخته وعلاقته بأخيه القسيس ، وحبه لابنته فأما أخته فانها كانت عانسا يتكلم عنها « ديدرو » كثيرا بالخير ، وأحيانا بالشر وكانت تستحق هذا الخير ، وهذا الشر ـ ، وحبه لاخيه كان حبا مخلصا ، متباعدا ، فالآخ كان قسيسا ، ذا صفات عالية ، زاهدا في الحياة ، محسنا كريما ، وكان يبدو واضحا أنه لايمكن التقارب بين عقيدة هذا القسيس الراسخة ، وانعدام الايمان لدى « ديدرو » فكان الأجدر أن يعيش كل من الاخوين بعيدا عن الآخر ، والا يحاول أحدهما الاتصال بأخيه ، ولكن نرى القسيس يحاول اقناع أخيه بالتدين ويحاول الفيلسوف بكل قوته أن يستميل اخاه ، أما عن ابنته فكان « ديدرو » يحبها حبا عظيما وكان مثالا للأب الحنون ، فكان يجد في هذه الحالة التوازن الكامل بين عقله وقلبه ، بين الحكمة الرزينة ، والتضحية العمياء في سبيل من يحب ، ولقد رباها أحسن تربية وترك لوالدتها الحرية في تعليمها قواعد الدين ، واصطحابها للكنيسة ، وعلمها أو جعلها تتعلم كل ما كانت بنات هذا العصر تتمنى معرفته ، ولم يترك لأحد غيره أن يصقل طبعها فتابعها بنفسه ، وأفضي اليها دائما بنصائحه ، وبالرغم من أنه كان « مجنونا » بهذه الطفلة اللطيفة ، كان يحاسبها ، وينير لها الطريق ، ويضغط عليها عند اللزوم ، ولقد زوجها زواجا حسنا ، لم يكن زواجا رومانتيكيا مثل زواجه من والدتها ، فلقد بحث هو عن الخطيب الملائم ، وناقش معه كل بنود العقد ، وكانت هذه هي العادة التي يتبعها الآباء في القرن الثامن عشر ، وكان اختياره موفقا ولم تشك ابنته طوال حياتها من زوجها .

أما ما بقى من حياة « ديدرو » فقد كان مشغولا « بالموسوعة » وهي عمل ضخم جدا ، لايبعده عنها الا حبه « لصوفي فولان » واصدقاؤه ، والاحاديث معهم

وخاصة مع « جريم » Grimm واقامته من وقت لآخر عند « البارون دولباخ » D'holbach ولقد سافر الى روسيا بناء على دعوة الامبراطورة «كاترين الثانية» وكانت رحلة عظيمة جدا — ثم بدأ السن يزحف اليه في هدوء ، وفى كل ذلك كان دائما كما قلنا يعطى لقلبه الأولوية على عقله .

ديدرو الفيلسوف :

اشترك « ديدرو » فى المعركة الفلسفية منذ عام ١٧٤٥ ، فنشر فى هذا العام « بحثا عن الاستحقاق والفضيلة » Essai le meri'te et la vertu وهو ترجمة حرة لكتاب « لشافتسبرى » Shaftesbrury وفى الأعوام التالية نشر«الافكار الفلسفية» Les Pensee'rs pltilosophlgues هاجم فيها المسيحية ودافع عن «الدين الطبيعى» ثم « نزهة المرتاب »La Promenade du Seeptigue نفس التاريخ قصة خليعة « الحلى الخارجة » Les Bijous indiscrets «ومذكرات من موضوعات مختلفة في الرياضيات» ومن هذا البيان يمكن أن نرى تنوع انتاج « ديدرو » منذ البداية .

ولقد أخذت جرأته فى التعبير عن أفكاره فى الازدياد ، فمن مؤمن بوجود الله دون اعتقاد فى الاديان الى متشكك في اعتقاده وفى النهاية وصل « ديدرو » الى أوج المادية فى كتابه « خطاب عن المكفوفين لينتفع به الذين يرون » Letter sur Les Avergles'at usage de cewx qui voient « ديدرو » بأعماله السابقة من المشكوك فيهم سياسيا ، لذلك عند نشره هذا الكتاب ، سجن فى قصر لا فانسين » لمدة خمسة اشهر ، وفى هذا السجن قام « روسو » بزيارته المشهورة له .

ولقد أثرت هذه الحادثة على « ديدرو » ففهم قيمة الحذر اذا كان يود أن يستكمل العمل الضخم الذى لم يكن قد مضي وقت طويل على بدئه ، وهو نشر « الموسوعة » .

الموسوعة :

لم يكن ثمة قاموس حديث فى فرنسا ، وفى عام ١٧٤٥ فكر الناشر المشهور « لي بريتون Le Breten فى نشر ترجمة كاملة للموسوعة الانجليزية « انسيكلوبيديا » للناشر « شامبرز » Shambers على أن يكون قاموسا مزودا برسوم ، ومقالات عن الفنون الميكانيكية وقد كلف « ديدرو » القيام بهذا العمل .

وظهر الجزء الاول فى عام ١٧٥١ ، فكان مخالفا للفكرة الاولى ، فبدلا من ان يكون هذا القاموس ترجمة للموسوعة الانجليزية ، نفخ فيها « ديدرو » من روحه الحماسية فاتسع الغرض منها لتصبح موسوعة تنشر المعرفة كاملة في القرن الثامن عشر ، عملا تقدميا ، يقضي على الأفكار المسبقة ، ويفسح مكانا واسعا للفنون

الميكانيكية ، فكلف « ديدرو » « دالمبير » D'Alembert بكتابة الجزء العلمى من « الموسوعة » ، واستعان بمجموعة كبيرة من المتخصصين المتازين ، وقام هو نفسه بأعمال عديدة فكان يكتب المقالات ، ويزور المصانع لكتابة الجزء الفني ، وينظم المكاتبات ويقدمها للرقابة ، ويراجع تجارب الطبع وفى عام ١٧٥٠ نشر الاعلان عن الموسوعة يعرض فيها الغرض منها فورد اليه ألفا طلب للاشتراك .

واستقبلها الفلاسفة بالترحاب ، بينما هاجمها « الجزويت » ، الى درجة أنهم حكموا على هذا الجزء الاول بالاحراق ، حيث أن القسيس « لابراد » وهو من معاونى « ديدرو » قد كتب فيه عشرة مقترحات كافرة ، كما وجدوا فى الجزء الثاني الذى ظهر عقب ظهور الجزء الاول ، أن شرح كلمة : يقين » يدل على التشكك والارتياب فى الدين . فمنع مجلس الدولة تداول الجزأين الاولين ، ولكن يتدخل « مالزيرب » Malesherabes مدير المكتبة وحماية مدام « دى بومبادور » عدوة « الجزويت » اللدودة ، أمكن نشر الأجزاء من الثالث الى السابع بواقع جزء كل عام ، ولكن استمر الهجوم على الموسوعة لدرجة أن أعداء « ديدرو » وزملاءه العلماء المشتركين في تحرير الموسوعة ، ادعوا أنها عمل لحزب منظم معاد للحكومة القائمة .

ولكن تغلب « ديدرو » في النهاية بفضل مالزيرب Malesherbes وظهرت الاجزاء الباقية من الموسوعة ، وهى من الجزء الثامن الى الجزء السابع عشر .

وقد اشترك فى هذا العمل الضخم ، وتحت اشراف « ديدرو » كما سبق ان بينا ، مجموعة من خيرة العلماء المتخصصين ، فى علم الأخلاق ، وفى الأدب ، وفى التكتيك الحربى وفي علم الفلك ، وفى فن العمارة ، وفى علوم البحار ، وفى الحقوق ، وفى التاريخ ، وفى الرياضة ... الخ .

وكان الغرض الأساسي من هذا المجهود الخارق ، القضاء على الافكار السابقة والعمل على انتصار لعقل ، وكان هدف محررى الموسوعة أن تصل ، عن طريق النشر جميع فروع المعرفة لجمهور واسع فكانوا واقعيين وعمليين ، كما كانوا يقومون بملاحظة الطبيعة البشرية بغرض تحصيل أكبر فائدة ، ولقد عارضوا الفكرة الدينية ، التى تبين أن الله لم يعد يمنح الانسان رحمته ، لاقتراف هذا الانسان الماضى، وأرادوا أن يبينوا انه لا يمكن للانسان الوصول للسعادة بفضل تقدم الحضارة، ولهذه العقيدة يمكن القول أن الموسوعة « هى العمل الفنى الذى يمثل تمثيلا صادقا للقرن الثامن عشر » .

كما قام « ديدرو » و « دالمبير » برد اعتبار العمال والفنيين ولقد كتب ديدرو « أن احتقارنا للفنون الميكانيكية قد أثر الى حد ما (كما يبدو) على المبتكرين فى هذه الفنون أنفسهم فأسماء هؤلاء الذين فعلوا الخير من أجل الجنس البشرى مجهولة لنا بينما تاريخ مدمرى الجنس البشرى اى تاريخ الفاتحين لايجهلها أحد فلقد دعت الموسوعة الى الانتباه الى قدرة العامل المتقن ، والى فائدته للمجتمع ، وكانت هذه أفكار ديموقراطية ان لم تكن أفكارا ثورية ، ولايمكن أن نضع أعمال

« ديدرو » التى كتبها بعد ذلك فى ترتيب تاريخى دقيق ، فانه منذ أن سجن فى « فانسين » كان « ديدرو » يكتب كثيرا ، ولكن ينشر قليلا ، والعدد الأكبر من مؤلفاته وأهمها ، نشر بعد مماته ويمكن أن يفهم من ذلك أنه ربما كان حذرا ، ولكن اكبر الظن أن بعضا من مؤلفاته كتبها فى سنين طويلة ، ولا يمكن تحديد تاريخ كتابتها بصفة قاطعة ، كما أنه كان يكتب فى جميع الأنواع الأدبية دون نظام معين .

ولقد ترك أعمالا ، فى النقد الفنى ، وهى مجموعة دراساته عن « معارض الرسم » Les Salens التى كان يعرض فيها أشهر رسامى عصره لوحاتهم ، ونجد أيضا في عدد من مؤلفاته الاخرى أفكارا وان كانت كثيرا مانراها يناقض بعضها بعضا ، الا أنها مازالت أفكارا عصرية عن الجمال الأدبى والجمال الفنى .

ديدرو القصصى :

لم يتبع « ديدرو » طريقة القصصيين الانجليز الذين كان يقرأ لهم كثيرا ، وخاصة « ستيرن » Sterne ولكن وجد لنفسه طريقا خاصا به بين القصة الفلسفية والقصة القصيرة والرواية الواقعية ، فجاءت قصصه اما روايات قصيرة أو محادثات واما كتبا طويلة .

أبحاث ديدرو الفلسفية :

ولكن عندما يكتب « ديدرو » رويات أو نقدا فنيا أو غيرهما من الاعمال الأدبية ، فانه لاينسي أبدا انه فيلسوف ، فان طبيعة الانسان ومكانه فى الكون ، ومصيره فى الحياة ، وطريقة اقامة قاعدة أخلاقية هى المسائل التى تشغل باله دائما ، ولكن هناك أعمالا أخرى خصصها « ديدرو » لمناقشة تلك المشاكل مثل « حديث ديدرو ودالمبر Entretien avec D'Alembert وحلم دالمبر « Le Rêve de D'Alembert » وحتى يمكنه أن يقيم فلسفة ايجابية فانه استمر فى دراسات علمية ، واهتم باعمال العلماء ، وخاصة بالطريقة التجريبية التى عرفها فى عام ١٧٥٣ في « افكار عن تفسير الطبيعة » Persees Sier L'interpetretion de La nature

المسرحية البورجوازية :

فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، ظهر فى الفن المسرحى ـ ولو أن ذلك كان لمدة قصيرة ـ نوع جديد ، لا هو بالمأساة ولا هو بالمسرحية المضحكة ، ولكنه يتصل بالاخيرة بأن يحاول فيه المؤلف وصف الأوساط البورجوازية وصفا واقعيا ، ويذكرنا بالمأساة من حيث أن أحداثه تهدد أبطال المسرحية ، فنرى شرف هؤلاء الأبطال وحياتهم ، وسعادتهم فى خطر . ان مايريده الكاتب المسرحى هو أن يؤثر على المشاهد ، وأن يعلمه بطريقة مباشرة ناجحة ، وهو يقدم له تقليدا أمينا للواقع العادى وللعادات في عصره ، ولقد نشأ هذا النوع على يد « ديدرو » الذى ألف

البورجوازية الصناعية ولكنها طبقة البروليتاريا [illegible] عمال المصانع الكادحين .
الثورة البروليتارية الاشتراكية في روسيا ، يا عمال العالم اتحدوا

مسرحيته : **الابن الطبيعي ورب الأسرة** ، وقد وضع مقدمة **للابن الطبيعي** شرح فيها مايجب أن تقوم عليه المسرحية الجديدة بالنسبة للموضوع والشكل ، وحتى الاخراج ، ففى الحقيقة يجب دراسة الحالة الأخلاقية ، والحالة الاجتماعية فى فرنسا فى هذه الحقبة من لزمن ان هذه الثورة فى المسرح ، انما تتبع الحركة الاجتماعية ، والحركة الايديولوجية التى أدت الى الثورة الفرنسية .

وبالرغم من كل مجهودات « فولتير » لاحياء « المأساة » واطالة عهدها فانها بدأت فى الانحدار وأصبحت جسما بلا روح ، ونوعا قضي عليه الدهر وحتى « فولتير » عندما أراد الدفاع عنها ، لم يمكنه الا تغيير روحها وفنها ، وجعل منها أداة للاعلان وهذا ماسيقوم عليه النوع الجديد من المسرحيات .

ومن ناحية اخرى ، فان تطور المسرحية المضحكة (الكوميديا) ، فتح الطريق الى النوع الجديد الرزين ، ففى منتصف هذا القرن لم نعد نسمع على المسرح الفرنسى رنات الضحك الصادق ، الضحك الحقيقى الذى كانت مسرحيات «فولتير» تثيره ، وأصبحت المسرحيات الضاحكة مهذبة ومثيرة تحث على الاخلاق علاوة على ماكانت تبعثه من الضحك .

واذا بحثنا عن الوسط الاخلاقى والوسط الاجتماعى ، وجدنا أن هذا العصر عصر جرت فيه المحاولات لارساء قواعد الأخلاق على الشعور، وتلتبس فيه الحساسية بالفضيلة ، ولكى يصبح الانسان انسانا خيرا ، يجب أن يبكى في أثناء مشاهدته لمرحية ما ، على مايصيب الفضيلة من مآس ؟ ويعتقد « فولتير » أن المسرح والممثلين المسرحيين يحلون محل المنبر والواعظ بامتياز ومقدرة ، كما أننا نجد التباسا آخر بين الشعور الجمالى ، والشعور فقط ، فبدلا من أن نرى أحداثا محزنة ، أو أحداثا مضحكة ، تعرض امام أعيننا أحداث مؤثرة محركة لعواطفنا ، ويبحث المؤلف عن أكثر الطرق استثارة لبكاء الشاهدين .

وعلاوة على ذلك ، كان هذا العصرعصر الصراع الفلسفى، وانطلاقةالبورجوازية ومع أن البورجوازية كانت تلعب دورا هاما فى المجتمع الا أن النبلاء ظلوا ينظرون اليها من عليائهم ، فحتى هذا التاريخ كانت المأساة « مقصورة على طبقة الملوك » بينما كان البورجوازيون يمثلون بالشخصيات المضحكة ، وكانت المسرحيات الجديدة نوعا من انتقام البورجوازية على المسرح ، ولذلك أصبح الغرض من هذهالمسرحيات مع ماكانت تصبو اليه من اصلاح اخلاقى ، المطالبة بحقوق اجتماعية ونشر المعرفة فان الدراما (وهكذا سمى هذا النوع من المسرحيات ويجب الا نخلط بينه وبين « المأساة ») . نوع جديد خلقه الفلاسفة ، ليثير عطف البورجوازية والشعب ولتهذيب أخلاقهم بعرض مناظر مؤثرة من حياتهم وبيئتهم نفسها »

وبالنسبة لديدرو ، وهو يعد خالق الدراما البورجوازية ـ فان المسرحية « مأساة منزلية وبورجوازية » على عكس المأساة الكلاسيكية التى كانت شخصياتها من الملوك والأمراء « فلقد قال « ان انقلاب الأوضاع ، والخوف من الخسة ، ونتائج

الفقر والهوى الجامع الذى يؤدي بصاحبه الى الخراب ، ومن الخـــراب الى اليأس ، ومن اليأس الى نهاية عنيفة ، ليـــت بالأحداث النادرة ، وهل تعتقدون ان هذه الاحداث لن تؤثر عليكم ، كموت طاغية بطريقة عجيبة او كالتضحية بطفــل على مذبح آلهة أثينا أو آلهة روما ؟ ولقد كان « كورنى « Corneille » فى القرن السابع عشر ، وهو مشهور بمأساته «التراجيدية» أول من صادفه نجاح باهر فيها ، قد أحس بامكانية « كتابة مأساة تكون شخصياتها أناسا متوسطى الحال ، اذاكانت ظروف حياتهم التعسة على مستوى المأساة كما قال « ألن يكون تأثرنا أعمق ، عندما نرى أشخاصا من نفس مستوانا الاجتماعى مثلنا مثلهم تماما ، من أن نرى هؤلاء الذين يتطاحنون على عرش أكبر الملوك ، والذين لا نجد أية صلة بينناوبينهم، اللهم اننا بشر معرضون لنفس الشعور الذى ألقى بهم في هذه الهاوية ، وهـذا ما لا يحـدث كل يوم ، فكان هذا مبدأ نظرية المصلحة والتهذيب المسرحى ، التى ظهرت عند مؤلفى النـوع الجديد الرزين ، ويوضحه بورمارشيه Beaumarchais بطريقة صريحة عندما يقول :« ما شأنى أنا المواطن الهادىء الذى يعيش فى دولة ملكية في القرن الثامن عشر بالثورات التى تحدث فى أثينا وفى روما ؟ وأى اهتمام لى بموت طاغية من طغاة اليونان ، أو من تضحية أميرة شابة فيها ، فلا أجد فى كل هذا ما يناسبنى ولا أى تهذيب أخلاقى يفيدنى » .

ولذلك سيعرض على المسرح حادث محزن فى الحياة اليومية لعائلةبورجوازية مثل مسرحية **الفيلسوف الذى لا يعرف انه فيلسوف** Le Philosophe Sars le Savoir وسيعرض العادات والأفكار والفضائل البورجوازية ، ومن أجل ذلك سوف تحل دراسة حالة الأشخاص ومهنتهم والعلاقات بين أفراد العائلة الواحدة ، محــل دراسة الطبائع ، كما كان يحدث فى المسرحيات الكلاسيكية المضحكة ، والشهوات، كما فى المأساة الكلاسيكية ، ولقد قال « ديدرو » في مقدمة **الابن الطبيعى** انه « يجب أن يكون المركز الاجتماعى هو الموضوع الأساسي ، وأن تكون درراســة الطبائع شيئا لاحقا . فان المهنة بواجباتها ومزاياها ومضايقاتها يجب أن تكون أساس الكتاب » ويجب أن تكون شخصيـاته : « رجل الأدب ، والفيلسـوف ، والتاجر ، والقاضى ، والمحامى ، والسياسي ، والمواطن ، ورجل المال ، والنبلاء والادارى ، كما يجب أن تظهر فيه جميع العلاقات بين أفراد العائلة : رب الأسره والزوج والأخت والأشقاء .

وعلى ذلك فان من ينظر الى عناوين هذه المسرحيات يمكنه أن يميز طابعهــا الأساسي فنجد مسرحية : **تاجر مدينة ليون** لبومارشيه **والابن الطبيعى ورب الاسرة** لديدرو ... الخ .

ويمكن اعتبار الدراما مدرسة للفضيلة ، اذا نظرنا الى الدروس الاخلاقية ، والمواقف التعليمية ، والمناظر المؤثرة التى يحتوى عليها ، فانه يضع الفضيـلة البورجوازية وجها لوجه مع الرذيلة ، وعادات الارستقراطية البذيئة ، فان الشخصية المضحكة لم يعد « البورجوازى الذى أراد أن يكون ارستقراطيا » ولكن

الارستقراطي المتعالى التافه ، ولم تعد الروح الارستقراطية سارية ، فى المسرحيه . بل روح المواطن الحر ، ولم يعد الملوك والملكات يأسرون القلوب ، الا اذا اعتنقوا أفكار البورجوازية وصفاتها ، وتحارب الدراما باسم العقل والطبيعة والشعور عدم المساواة الاجتماعى ، والتعصب ، والافراط فى كل شيء .

وفى الوقت نفسه ، وباسم العقل ، والطبيعة فان « ديدرو » قام بثورة فنية في المسرحية فهو يقبل قاعدة وحدة الزمان والمكان والموضوع التى وضعها المؤلفون الكلاسيكيون ، ولكنه يتمنى أن تكون خشبة المسرح متسعة بدرجة كافية، حتى يمكن تفادى قاعدة وحدة المكان المحدود جدا ، كما أنه لايجازف بأن يجعل من المسرحية خليطا من المأساة الحزينة والمواقف المضحكة ، فان الدراما تسير على نغمة واحدة لا هى بالمضحكة ولا هى بالمأساة الحقيقية ولكن نرى فيها مستحدثات لم نكن نراها فى المسرحيات الكلاسيكية .

ان « ديدرو » يفضل اللوحات المحزنة على العنصر الفجائى ويود لو يرى على المسرح هذه المواقف العائلية التى تبعث على الحنان ، والتى يحبها فى لوحات « جروز » « Greuze » ولكن سنرى بكثرة فى الدراما عنصر المفاجاة ، وهذا يذكرنا « بالميلودراما » التى ستظهر فى عصر الثورة ، والعصر الرومانتيكى ، ولكننا نرى المواقف التى يجتمع فيها المثلون ليكونوا لوحات جميلة .

كما أن المناظر أصبحت واضحة المعالم ، واقعية فتزيد أهميتها بالنسبة لخلقها الجو الملائم ، والتوجيهات المسرحية كثيرة متعددة ، فالمؤلف يوضح مايجب أن تكون عليه ملابس الممثلين وهيئتهم وحركاتهم .

ويختار المؤلف أن يكتب المسرحية نثرا ، حيث أن النثر أمر طبيعى واقرب للحقيقة والواقع ، وفي لحظات الانفعال الشديد ، تتلى الكلمات تقطعها التنهدات، وعلامات التعجب ، والسكون حيث أن اليأس لايعبر عنه فى الواقع بخطاب طويل دقيق الترتيب متناسق الأفكار ، كما أن حركات المممثلين توازى النص فى الأهمية، فيجب عليهم أن يتفهموا الموقف جيدا ليترجموا الشعور الذى يجب أن يعبروا عنه ، بحركات الوجه ، وحركات الايدى ، وبالهيئة عموما أى بالتمثيل الصامت « البانتوميم » « Pantom'me» ويمكن حتى عندما يصل الانفعال الى القمة ، أن يترك لهم حرية الارتجال ، وهكذا يمكن الوصول الى ما سيسميه « ستندال » « Stendhal » بعد ذلك « الخداع التام » L'Iusion parfaite أى التصوير الكامل للواقع .

ومن هذا نرى أن منهج « ديدرو » جرىء ، وغنى جدا ، وقد اقتبس هذه الأفكار بعد ذلك الكتاب المسرحيون ومازال يقتبسها المخرجون حتى وقتنا هذا وبالرغم من ذلك لم يصادف المسرحية البورجوازية النجاح .

ويرجع فشل هذا النوع الى عدم وضوح الرؤية منذ البداية ، فان المسرح فن ، وقد جعل مؤلفو الدراما منه وسيلة للدعاية الفلسفية ، ولهذا السبب بليت اعمالهم سريعا ، فان القطع النثرية الطويلة ، التى تعالج موضوعات أخلاقية أو اجتماعية ، يحددها التاريخ فاما يصيبنا الملل عند سماعها ، واما نبتسم سخرية . ونظرية المهنة التى يجب دراستها أدت الى اهمال دراسة الطبائع، فاصبحت الدراسة السيكولوجية فى الدراما أولية دائما ، وأحيانا لا وجود لها على الاطلاق ، ان ما يهمنا فى تاجر أو فى ملك ، هو انه انسان وليس صفته — ولقد اتسمت الدراما بتحيز مستمر ولذلك لم تصل الى وصف المجتمعات وصفا حقيقيا ، كما حدث فى المسرحيات التى تقدم العادات ، أما عن الواقع الطبيعى فتضفى عليه كثرة الحساسية ، والأسلوب الملىء بكلمات الاحساس المرهف ، والذى كان يعتقد « ديدرو » أنه هو الأسلوب الواقعى — يبدو لنا على عكس ذلك مزيفا بكل مافيه من خطابة وانشاء وعبارات التفخيم .



((نبذة عن مسرحية الابن الطبيعى))

نشرت مسرحية **الابن الطبيعى** عام ١٧٥٧ مع مقدمة لها تحتوى على أفكار ديدرو الجديدة بالنسبة للأسلوب الذى يجب أن يتبعه المؤلف المسرحى وبالنسبة لطريقة التمثيل والعرض . وكان الاستقبال الذى قوبلت به من جانب المعاصرين متفاوتا جدا . فبينما قررت مدام ديبيناى Mmed'Epinay أنه أمكنها بمفردها أن توزع أكثر من مائة نسخة خلال يومين فقط ــ وان هذا أكبر دليل على الاقبال عليها . وبينما نرى أصدقاء ديدرو يمتدحونها وخاصة « جريم » « Grimm » الذى كتب فى « مذكراته » بتاريخ أول مارس سنة ١٧٥٧ « ان ليس على السيد ديدرو الا أن يستمر فى العمل في هذا النوع من الادب وسوف يكون سيد المسرح دون نزاع ــ وكان هذا الحماس نابعا من القلب كما تقول مدام ديبيناى ــ نرى رأيا آخر لنقاد آخرين ــ فلقد خصص باليسو « Palissot » وهو شيخ النقاد حينذاك فى كتابه « رسالات صغيرة عن فلاسفة كبار » دراسة طويلة عن مسرحية **الابن الطبيعى** التى لايرى فيها خلقا جديدا ولا شخصيات ولا أسلوبا ولا أى شيء مما يدل على عمل مسرحى .

ولكن لايمكن الحكم على مسرحية بصفة نهائية الا بعد أن تكون قد اجتازت بنجاح العرض الأول ــ فلقد بقيت مسرحية **الابن الطبيعى** فترة طويلة جدا دون أن تعرض بالرغم من الوعد الذى أخذه مؤلفها على نفسه بأن يعرضها عاجلا هي ومسرحيته الثانية **رب الأسرة** Le Per'e de Familly وكانت هاتان المسرحيتان موضع مناقشة حامية على صفحات الجرائد قبل عرضهما أمام الجمهور .. وفى ٢٦ سبتمبر سنة ١٧٧١ عرضت هذه المسرحية بعد أن وافقت فرقة «المسرح الفرنسي» Le Théâtre - Francais على أن تقوم بهذه المحاولة بعد جهود كبيرة بذلها رئيس الفرقة « دى موليه » De Molé فلقد حاول هذا الأخير اقناع الممثلين بتمثيلها وبعد الحاح شديد عرضت المسرحية فى حفلة واحدة على هذا المسرح ثم سحبها ديدرو عندما رأى التناقص في الآراء .

وقد عاب كثيرون على ديدرو اقتباسه من أعمال جولدونى « Goldoni » المضحكة وبخاصة من عملين بعثا اهتمام المثقفين وهما **رب الأسرة والصديق الحق** Le Véritable Ami لأن ديدرو كتب مسرحية بنفس العنوان الأول ، أما الثانى فقد زعم بعض النقاد أنه نقله عن جولدونى . ولكن هل فى هذا مايشين ؟ فلقد سبق أن رجع مؤلفون كثيرون مسرحيون الى أعمال اليونان والرومان لاقتباس الفكرة عنهم كموليير وفولتير وراسين وكورنى ، فماذا فى هذا ؟ ان المهم أن ترى المسرحية النور وعليها لمسات شخصية المؤلف نفسه فاذا فحصنا مسرحية ما ــ

سنجد أنها مبنية على ثلاثة أشياء : موضوع وشخصيات وتفاصيل فاذا درسنا موضوع مسرحية **الابن الطبيعي (1)** وهو أن شخصا يدعى كليرفيل يحب شابة تسمى روزالى تعيش تحت رعاية شقيقته كنستانس ، وهى ابنة ليزيموند ،رجل رحل منذ وقت طويل الى المستعمرات الفرنسية ، ليجرب حظه ، ورغبة فى الاثراء يستقبل كليرفيل فى منزله صديقا يدين له بكل شيء وهو دورفال ، ويعذب هذا الاخير الشعور بوخز الضمير ، اذ أنه هو نفسه واقع في حب روزالى وهو يشعر أن روزالى تبتعد من كليرفيل لتحبه هو وفى نهاية المسرحية تسير جميع الأمور سيرا حسنا لأن الوالد ليزيموند يعود من المستعمرات ويصرح بأن دورفال هو ابنه الطبيعى وتتغلب الفضيلة ويجتمع شمل العائلة وتتزوج روزالى من كليرفيل ويتزوج دورفال ممن كنستانس شقيقة صديقه كليرفيل .. نجد أن دورفال ابن طبيعى ولولا ظروف ميلاده لما ظهرت هذه المسرحية للوجود . فلولا ذلك لما لجأ الأب للحياة البعيدة فى المستعمرات ولما جهل دورفال ان له أختا تعيش قريبة منه ولما قام بدور المحب الولهان الذى أصبح غريما لأعز أصدقائه ـ ومن جهة أخرى يجب أن يكون دورفال غنيا حتى يمكنه مساعدة روزالى عند فقدانها ثروتها وأن تكون ثروته قد منحها له والده ليؤمن له الحياة الشريفة ـ ثم لماذا يهرب من حبه لروزالى ويترك شقيقة صديقه كنستانس دون أن يبادلها حبا بحب بعد أن باحت له بغرامها نحوه ؟ والمنظر المؤثر الذى يظهر فيه أندريه وهو يروى روايته ؟ كل هذا يكون موضوعا مسرحيا رائعا . وتبدأ المسرحية برجل بملابسه الريفية يبدو عليه القلق، يدخل عليه خادمه ويدور بينهما حوار حول اعداد المركبة للرحيل بغير وداع لمضيفيهم وقد بدت الدهشة على الجميع لهذا الرحيل المفاجىء ، ثم يستعطفه صديقه ليبقى بجواره لأنه يعانى أزمة عاطفية ويستجيب لرجائه ، ليصلح مابينه وبين خطيبته التى ترى فى هذا الرجل مثالا للفضيلة التى تفرض الاحترام على من حولها .

يعاقب الرجل نفسه لأنه تسبب في حب شقيقة صديقه له ، بينما هو يتبادل الحب مع حبيبة صديقه ، ويصبح انسانا تلعب به الاقدار ، « لقد حضرت هنا ومعى روح نقية ووجدت سيدة فاضلة تكن لى في قلبها حبا يعذبها » ، وانتاب الحبيب اليأس لأن حبيبته أصبحت غير وفية وزادت تعاستها ، هل هناك شيء اكبر من ذلك يمكن لمجرم أن يفعله ؟ ويهب لنجدة صديقه وينقذه من الموت .

يتضح أن سبب القتال الشائعات التى انطلقت من رجلين ، فأحدهما يقول ان شقيقتى تحبك ، والآخر يقول انك تحب حبيبتى ، وأنه يثق به ولا يعتقد انه يخونه ، ويبدو أن الفضيلة والطهر عظيمان والرذيلة ضئيلة أمامهما ، وتفهم الاخت وأخوها ان الرجل يحبها لعثورها على ورقة فى حجرته قد كتبها دون أن

---

(١) المقصود ابن غير شرعى .

يوجهها الى شخص معين مما زاد فى أله وحرجه خاصة وقد عرفت بذلك محبوبة صديقه التى يحبها حقا وتحبه وهنا يظهر شخص يعلن عن قرب مجىء والد المحبوبة ليأذن لها بالزواج من حبيبها ، ويحكى لهما عن المتاعب التى صادفتهما فى الطريق ، ويخلو الرجل الى نفسه ويفكر فى موقفه هل يتمسك بالفضيلة أم يتخلى عنها ، ويقرر التنازل عن ثروته الى حبيبته الحقيقية بعد أن أصبحت فقيرة بفقد والدها ثروته في الطريق اليها وقد تحايل فى تنازله حتى لايجرح شعورها .

يظهر عليها الحزن لفقرها وتبكي وتصب غضبها على الرجل الذى يمثل الفضيلة ولا تراه الا شريرا ، وأن الرجال جميعا أشرار وأن هذا الرجل مجهول النسب ، وقد حذرتها أخت حبيبها من أثر المصائب على الانسان فهى تؤدى الى تحطيم النفس ، وتطلب اليها أن تعود لحب أخيها ، ويعترف الرجل لأخت صديقه التى توهمت أنه يحبها بأنه نشأ وقد ماتت أمه ولم ير أباه غير مرة وهذا هو سر تعاسته وانه يود لذلك البعد عن المجتمع ، وطلبت اليه عدم العزلة لأن الرجل مكانه المجتمع ولا يعيش وحيدا الا الشرير ، ويدور حديث طويل بينهما ينتهى الى أن المال ليس كل شيء ، فقد يكون خطرا على صاحبه ، وان الفضيلة تعتبر فى حد ذاتها ثروة .

الحبيبة ينتابها الحزن وتقرر التخلص من أصدقائها وتبعد والدها عن هذا المنزل المشئوم بعد أن عادت الثروة اليها دون علم منها بأى طريق عادت اليها هذه الثروة ، ويعاتبها ، الحبيب الولهان على قرارها هذا ويجثو تحت قدميها ويقدم لها حياته علها ترجع عن قرارها وترد عليه بأن صديقه شرير ويخونه ويدخل صديقه فى تلك اللحظة ويتحدث طويلا عن الفضيلة والخير والشر ويبصرها بموقف حبيبها وأخته منها ، ويصل والدها وتعلو الدهشة وجهها حينما يعترف أمامهم أن صديق حبيبها ما هو الا اخوها ، ويرفع يديه الى السماء لرؤية ولديه كل منهما الاخر . وهنا يتضح موقف الصديق للجميع وقد حمد له الجميع تضحيته بثروته لاسعاد الحبيب بمحبوبته وترتمى المحبوبة فى أحضان الصديق الأخ وتنتهى المسرحية بدعاء الأب لأبنائه بالسعادة وانجاب الأبناء ليردوا اليهم حبهم الذى يكنونه لوالدهم .

الشخصيات :

أما عن الشخصيات فان ديدرو يتساءل هل فى مسرحية السيد جولدونى محب في عنف كليرفيل وشابة بارعة مثل روزالى ؟ وامراة لها نفس كنستانس العالية وشعورها النبيل ؟ ورجل من طبيعته الحزن والنفور من الناس مثل دورفال ؟ اننا نجيب على جميع هذه الاسئلة بلا . وعلى ذلك فلديدرو الحق أن

يقرر أن جميع هذه الشخصيات من صنعه هو وحده . ويمكن كى نحكم على ماالديدرو من اهمية ـ أن نعرف ماقاله عنه « الاب دى Le Pere Desfontaines عندما راى ديدرو لاول مرة وهو فى عنفوان شبابه : هذا الشاب يدرس الرياضيات ولاشك فى أنه سيتقدم فى دراسته تقدما كبيرا ، ولكن له عقلا كبيرا وبعد أن قرات له قصيدة من الشعر كان قد أحضرها لى في الماضي نصحته بأن يترك هذه الدراسة الصعبة ويتجه الى المسرح الذى أعتقد أن قدرته حقيقية فيه .

ولقد ترجمت مسرحية **الابن الطبيعى** الى اللغـة الانجليـزية تحت عنوان « دورفال » مسرحية مترجمة عن الفرنسية لمؤلفها السـيد ديدرو ونشرت في لندن عام ١٧٦٧ كما قام ليسـنج « Lessing » بترجمة المقدمة الى الالمانية وأعاد نشرها فى عام ١٧٨١ وكذلك ترجمت المسرحية الى الهولاندية ونشرها هورن Horn فى ١٧٧٤ ونقلها كالزادو « Calzado » الى الاسبانية عام ١٧٨٨ .



المفارقة - لدراسة علوم المجهول

الابن الطبيعي

مسرحية من خمسة فصول

كتبت سنة ١٧٥٧ - عرضت سنة ١٧٧١

تأليف : دنيس ديدرو

ترجمة وتقديم : ملكة علي الهيطة

مراجعة : يحيى حقي

العنوان الاصلي للمسرحية

LE FILS NATUREL

OU

LES ÉPREUVES DE LA VERTU

COMÉDIE

EN CINQ ACTES ET EN PROSE

AVEC L'HISTOIRE VERITABLE DE LA PIÈCE

1757. — Représenté en 1771

Interdùm speciosa locis, morataque recte Fabula nullius veneris, sine pondere et arte, valdius oblectat populum meliùsque moratur, Quam versus inopes rerum, nugaeque canorae

HORAT, de Arte poet., v. 363.

صلود رامل ← المبالغة في الصوف والأحزان
← النفع الحزينة

عنيد ← سنبت صلوه

جان بربير ← مثل صلو .

شخصيات المسرحية

ليزيموند : والد دورڤال وروزالى . Lysimond

دورڤال : ابن ليزيموند غير الشرعى وصديق كليرڤيل . Dorval

روزالى : ابنة ليزيموند Rosalie

جوستين : وصيفة روزالى . Justine

أندريه : خادم ليزيموند . André

شارل : خادم دورڤال . Charles

كليرفيل : صديق دورڤال وعشيق روزالى . Clairville

كنستانس : أرملة شابة شقيقة كليرڤيل . Constance

سيلفستر : خادم كليرڤيل . Sylvestre

خدم آخرون يعملون فى منزل كليرڤيل

المنظر فى سان ـ جيرمان ـ آن ـ ليه . وتبدأ فصول الرواية عند الفجر فى حجرة الاستقبال فى منزل كليرفيل

المناظر والإرشادات التوجيهية لأبعاد
- الزمان/المكان
- الحالة الاجتماعية
الفصل الأول - الذوق

المنظر : حجرة استقبال — وبها « بيانو » ومقاعد وعدة مناضد للعب وعلى احداها صندوق لعبة النرد وعلى منضدة أخرى بعض كتيبات. وفي ناحية من الحجرة منوال لنسج السجاد . . وفي جانب من الحجرة أريكة . . . الخ .

المنظر الأول

دورفال وحده

وهو بملابس الريف وشعره أشعث ، جالس على مقعد مريح ذى ذراعين والى جواره منضدة فوقها بعض الكتيبات . يظهر عليه عدم الاستقرار . وبعد أن يقوم بحركات عنيفة يتكئ على ذراع المقعد كأنما يريد أن ينام ، ولكنه سرعان ما يغير من وضعه هذا ، ويخرج ساعة من جيبه ويقول :

هل ما زالت الساعة السادسة ؟ ! (يرتمى على الذراع الأخرى للمقعد يقوم ثانية مسرعا) ويقول : لايمكننى أن أنام (ثم يأخذ كتابا ويفتحه حيثما اتفق ثم يقفله في التو والحين) . انى أقرأ دون أن أفهم شيئا (ثم يقوم ويمشى جيئة وذهابا) لا أستطيع الهرب من نفسى . . يجب أن أخرج من هنا . . أخرج من هنا ! وأنا مقيد بهذا المكان ! انى أحب . . (وكأنه مذكور) ومن أحب ؟ لا أتورع عن مصارحة ضميرى بأني أحبها ، تبًا لى ، ومع ذلك فأنا باق هنا — (ثم ينادى بعنف) شارل ! شارل !

حيله الرحيل حيله دراميه

المنظر الثانى [1]

دورفال ـ شارل

(ويعتقد شارل أن سيده يريد قبعته وسيفه فيحضرهما له ويضعهما على مقعد)

شارل : سيدى هل يلزمك شئ آخر ؟

دورفال : جياد وعربتى الصغيرة .

شارل : ماذا ؟ هل نحن راحلون ؟

دورفال : نعم ، في الحال (ودورفال جالس في مقعده ويقوم بجمع كتب وأوراق وكتيبات كأنه يود أن يجعل منها حزما وهو مستمر في الكلام)

شارل : سيدى : « المنزل كله » مازال بغط في النوم .

دورفال : لا أريد أن أرى أحدا .

شارل : وهل هذا مستساغ ؟

دورفال : لامفر منه .

شارل : سيدى . . . .

دورفال : (وهو يلتفت لشارل ويبدو عليه الحزن) ماذا يا شارل ؟

شارل : لقد استقبلت في هذا المنزل « بحفاوة » وكنت مدللا من الجميع والجميع يتسابق لخدمتك وترحل هكذا دون أن تكلم أحدا ، اسمح لى ياسيدى . .

---

(١) هذا المنظر يتتابع بسرعة .

دورفـــال : لقد سمعت كل ما قلت . انت على حق ولكنى راحل.

شـــارل : وماذا سيقول كليرفيل وهو صديقك ؟ وكنستانس شقيقته التى لم تقصر فى أى شئ حتى تحببك فى الاقامة هنا ؟ (وبصوت أكثر انخفاضا) وروزالى ؟ ألن تراهـــم ؟

(دورفال يتنهد بعمق وقد أمسك برأسه بين راحتيه ويستمر شارل فى الكلام) لقد كان كليرفيل وروزالى يتباهيان بأنك ستكون شاهـــد زواجهما وكانت روزالى تتوق لأن تقـــدمك لأبيها وكان عليك أن تصحبهم جميعا الى الكنيســـة . . (يتنهد دورفال ويتحرك مضطربا) انما يكاد أبوها يصل حتى ترحل أنت ! انى أجرؤ على أن أقول لك : « ان المسلك المستغرب غير المفهوم قلما يكون رشيدا » .

كليرفيل ! كنستانس ! روزلى !

دورفـــال : (وهو يقوم فجأة) أطع أمرى باعداد العربة والجياد.

شـــارل : أفي الوقت الذى يصل فيه أب روزالى بعد رحلـــة مديدة ومن غدٍ عرس صديقك !

دورفـــال : (لشارل وهو غاضب) ملعون ! (ثم يناجى نفسه وهو يزم شفتيه ويضرب صدره . .) الملعون أنـــــا (ثم يقول لشارل) أنت تضيع الوقت وأنا مقيد هنا

شـــارل : إنى ذاهب .

دورفـــال : فلتسرع .

المنظر الثالث

دورفال وحده

(وهو يمش جيئة وذهابا سارح الذهن)

أرحل دون وداع ! انه على حق — سيكون عملى هذا عقيماوباعثا على العجب ، ولكن ما قيمة هذه الأوصاف عندى ، فما الذى يعنيني ، هل هو رأى الآخرين أم أدائى لواجب يقتضيه الشرف ، ثم لماذا لا أقابل كليرفيل وشقيقته ، أفلا أستطيع أن أودعهما دون أن أفصح لهما عن سبب رحيلي ، هناك فرق بين الواجبات التى تفرضها الصداقة والواجبات التى يفرضها الحب ، وبالأخص اذا كان حبا غير معقول يجهله الجميع وينبغى كتمانه ، ولكن ماذا عساها أن تقول ، ماذا سيكون رأيها ، أسئلة تنطقنى بها أيها الحب ، يا أبرع مخترع لحجج لاتقاوم ، لم يغب عن سمعى تغريرك بى ، . . (تدخل كنستانس في ثوب من ثياب الصباح ، تبدوهى الاخرى وقد عذبها هوى سلب منها راحة البال ، ثم بعد لحظة يدخل بعض الخدم ينسقون حجرة الاستقبال ويجمعون أمتعة دورفال ، وأخيرا يدخل شارل بعد أن أرسل لمحطةالسفر في طلب الجياد) .

المنظر الرابع

دورفال — كنستانس — بعض الخدم

دورفال : ماهذا يا سيدتى ! كم أنت مبكرة !

كنستانس : لقد طار النوم من عينى ، ولكن لماذا أراك مرتديا ملابسك في هذه الساعة ؟

دورفال : (سريعا) لقد وصلتنى رسائل في التو ، فهناك مسألة عاجلة تتطلب وجودى في باريس . انى

سأشرب الشاى – شارل ، احضر لى الشاى قبلاتى الى كليرفيل ، انى شاكر له ولك جميل رعايتكما لى ، سوف أقفز الى عربتى وأرحل .

كنستانس أأنت راحل وهل هذا ممكن ؟

دورفال : نعم : ولست مضطرا لشيء مثل اضطرارى لهذا الرحيل مع الأسف (يخرج الخدم الذين انتهوا من تنسيق حجرة الاستقبال ومن حمل متاع دورفال ، ويضع شارل الشاى على احدى المناضد . دورفال يشرب الشاى بينما كنستانس تبقى متكئبة على المنضدة ورأسها مائل على راحتها وهى تفكر .)

دورفال : أسرح بك الخيال ياكنستانس ؟

كنستانس : (وهى متأثرة أو على الأرجح وهى تحاول أن تتمالك نفسها) »

نعم سرح بى الخيال في كل درب ولكنى على خطأ ، فما أرى الا أن حياتك كما عشتها هنا أصابتك بالملل ، وهذا ما لاحظته عليك من قبل ، لا اليوم فحسب .

دورفال : مللت هذه الحياة ! كلا – المسألة ليست هكذا .

كنستانس : اذن ماذا بك ؟ . . انى أراك متجهما .

دورفال : ان الشقاء يترك علاما ت . . هل تعلمين . . ياسيدتى . . وأقسم لك انى منذ زمن طويل لم أعرف في الحياة الا تلك التى أتمتع بها هنا .

كنستانس : إن كان الامر هكذا فانك دون شك ستعود .

دورفال : لا أعرف . . وهل عرفت يوما ما سيحدث لى ؟

كنستانس : (بعد أن تمشت في الحجرة لبرهة قصيرة) هذه هى اللحظة الباقية لى يجب أن أتكلم — (تسكت قليلا ثم تقول) استمع لى يادورفال — لقد وجدتنى هنا منذ ستة شهور سعيدة هادئة وكنت قد مررت بكل ماهو في الزواج غير الموفق من شقاء ، وعندما تحررت من رباطه عاهدت نفسى على أن أبقى حرة الى الأبد وكنت أبنى سعادتى على كره كل رباط وعلى الأمان الذى نشعر به في حياة منعزلة عن الجميع فبعد الأحزان الطويلة . كم للوحـــدة من بهجة — ان المرء يتنفس فيها بحريـــة لقـــد كنت أتمتع بنفسى في عزلتى وكنت أتمتع بأحزانى الماضية . كان يلوح لى أنها قد طهرت عقلى وكنت أوزع الأيام التى كانت دائما بلا أحداث ، وأحيانا عذبة لذيذة بين القراءة والتنزه والتحدث مع شقيقى ، وقد كان كليرفيل دائب الكلام عن صديقه الرزين النبيل وكم كنت أجد لذة في سماعه ! وأتوق الى معرفة رجل يحبه أخى ويجله لأسباب كثيرة كأنما قد نمت في قلبه بذور الحكمة . وأقول لك أكثر من ذلك : لقد كنت بعيدة عنك ولكنى كنت منذ ذلك الحين أمشى في أثرك وهذه الشابة روزالى التى تراها هنا كانت موضع رعايتى كلها كما سبق أن كان كليرفيل تحت رعايتك .

(هذه الحيله الدراميه موفقه في هذا الحوار) .

دورفـــال : (يتأثر وبحنان ورقة) . روزالى !

كنستانس : وقد لاحظت ان كليرفيل بدأ يميل اليها ، فكـــان همى ان اعمل على تهذيب روحها وتسديد خلقها ،

لأنها كانت ستصبح يوما ما من نصيب أخى — ولأنه غير متبصر فقد حملتها على التزام الحذر ، ولأنــه عنيف فقد مكنت لميل طبعها إلى الدماثة لكى يزداد نموا ، وكنت مغتبطة لاعتقادى أنى بالاشتراك معك كنت سأمهد لاسعد رباط يتاح لدنيانا أن تشهده ، ثم قدمت أنت . . . . فتبدل الحال مع الاسف (وهنا يأخذ صوت كنستانس نبرة الحنان وينخفض قليلا) فان مقامك بيننا ، وكان ينبغى له أن ينير لى الطريق ويشد من همتى على متابعة خطتى ، لم يحدث الأثر الذى اتطلع اليه ، وشيئا فشيئا كففت عن رعايــة روزالى كما كنت أفعل من قبل ، ولم أعد أعلمهـــا كيف تثير الاعجاب ولم يغب عنى طويـــلا ادراك سبب مسلكى هـــذا ، فانى عرفت يا دورنال كم للفضيلة من سلطان على نفسك ، وبدا لى انى من اجل ذلك زدت تعلقا بها ، واستهدفت ان أزامل الفضيلة في الاستيلاء على قلبك ولم يطب لى قط عزم » مثل هذا العزم ، وكنت أقول لنفسى : « ما أصـــدق سعادة المرأة حين تكون وسيلتها الوحيدة لاجتذاب الرجل المفضل عندها هى ان تستكثر من دواعـــى جدارتها بالتقدير في نظر الناس وأن تزداد سموا في نظر نفسها ، ولم ألجأ إلى وسيلة أخرى ، واذا كنت لم أبلغ مرادى وأفصحت عن ذلك الآن فلأنى لم أجد مددا من الوقت لا من الثقة بمسلكى ، فلم يخامرنى الشك قط ان الفضيلة تنجب الحب ساعة أن تستوفي

حملها به ، (تتريث قليلا ثم يجرى لسانها بكلام يشق الجهر بـــه على أمرأة مثل كنستانس) هل تريد أن أكشف لك عن أبلغ ألم قاسيته ؟ أن أستر عنك كـــل حركة تثب منى اليك ، معبرة عن فرط الرقة لك ، مما يفضح دواما المرأة التى تحب ، وكان عقلى يردنى إلى الرشد بين الحين والحين ، ولكن قلبى اللحوح لم ينقطع نداوه ، وقد هممت مرارا أن أنطق بالكلمة التى فيها القضاء على خطتى ، وقد أفلتت من شفتى أحيانا ولكنك لم تنتبه لها . وكنت أهنىء نفسى على ذلك دائما .

هذه هى كنستانس ، اذا صددت عنها فيكفيها أنها لاتجد سببا يدعوها إلى الخجل من نفسها ، فهى حين تفقدك ستعثر في حضن الفضيلة على ملاذها ، وكم من أمرأة سخطت على تلك اللحظة التى انتزع فيها حب أثيم من قلبها أول تنهداته ، أما كنستانس فانها اذا ذكرت دورفال فلكى تهنىء نفسها على أنهـــا عرفته . واذا شاب ذكرها له شيء من المرارة فانها ستجد في العاطفة التى تبثها أنت في قلبها سندا لعزاء رحيم .

المنظر الخامس

دورفـــال ـــ كنستانس ـــ كليرفيل

دورفـــال : ها هوذا أخوك يا سيدتى .

كنستانس : (بحزن) أخى ، ان دورفال سيتركنا ـــ (ثم تخرج) .

كليرفيل : لقد علمت بذلك في التو واللحظة .

المنظر السادس

دورفال — كلير فيل

يخطو دورفال بعض خطوات وهو ساه مرتبك

رسائل من باريس . . أعمال عاجلة . . ممول يتزعزع

كليرفيل : لن تسافر يا صديقي دون ان تمنحني لحظة للاجتماع بك فلم أشعر قط بحاجة ماسة لمعونتك كما أشعر الآن .

دورفال : لك ما تريد ، ولكنك اذا اعترفت لي بحقي في الرحيل فانك لن تشك ان هناك من الاسباب القوية جدا .

كليرفيل : (بحزن) كان لى صديق وهذا الصديق سيتركنى — كنت محبوبا من روزالى وروزالى لم تعد تحبنى . اننى لم يعد عندى أمل . . فهل ستتركنى يا دورفال ؟

دورفال : ما الذى أستطيع ان اعمله من أجلك ؟

كليرفيل : انك تعلم أننى أحب روزالى ! ولكن لا . انك لا تعرف شيئا ، فأمام الآخرين يكون الحب أولى الفضائل التى أتحلى بها ، أما أمامك فان جبينى ليحمر خجلا منه ولكنى يا دورفال فليتابنى الخجل ، ان كان ليس منه مفر ، هيهات ان أقدر على أن أروى لك كل ما تحملته من آلام ، بحرصي الشديد وتلطفى الشديد ، استطعت ان افرض الصمت على أعنف غرام ، فقد كانت روزالى تعيش بالقرب من هنا ، في عزلة مع خالة لها ، وكانت هذه الخالة هى سيدة أمريكية مسنة جدا — وكانت صديقة لكنستانس وكنت ارى روزالى كل يوم ، وكل يوم أكتشف

محاسن جديدة فيها ، وكنت أشعر بزيادة خفقان قلبي ، ثم توفيت خالتها « وقبل ان تلفظ أنفاسها » نادت شقيقتي وبسطت لها يدها الضعيفة وأشارت إلى روزالى التى كانت تبكى على حافة السرير وكانت تنظر اليها دون أن تفوه بكلمة ثم تنظر إلى كنستانس والدموع تتساقط من عينيها ثم تتنهد ، وفهمت شقيقتى ما تعنيه بذلك فجعلت من روزالى زميلتها وتلميذتها وتعهدتها ، وأصبحت أنا اسعد رجل في العالم . وكانت كنستانس ترى هواى ، وكانت روزالى يرق لى قلبها فيما يبدو . ولم يقف في سبيل سعادتى الا رغبة والدة قلقة ترغب في استرداد ابنتها ، وكنت اعد العدة للسفر إلى المناطق النائية التى ولدت فيها روزالى ، ولكن توفيت والدتها وقرر والدها بالرغم من كبر سنه ان يعود ليبقى معنا .

وكنت أنتظر هذا الوالد لتستكمل سعادتى ، وها هو آت ، ولكنه سيجدني في أشد الحزن .

دورفال : ولكنى لا أرى حتى الآن ما يبعث على حزنك .

كليرفيل : لقد قلت لك السبب في أول حديثنا ، فان روزالى لم تعد تحبنى ، فكلما زالت العقبات التى كانت تقف في طريق سعادتى تصبح هى متحفظة باردة غيرمبالية بى ، فقد تبدل الشعور الرقيق الذى كانت تعبر عنه بسذاجة تسحرنى ، الى نوع من الأدب يقتلنى وأصبح كل شيء لاطعم له بالنسبة لها . لمتعد تهتم بأىشيء ولم يعد هناك شيء يسليها وأول حركة تقوم بها عند

رؤيتي هي أن تبتعد . والدها قادم . ويمكن القول بأن هذا الحادث الذي كنا نتوق اليه والذي كنا ننتظره منذ مدة طويلة لم يعد له تأثير عليها ، وكل ما تبقى لها ميل قاتم للوحدة ولم تعامل كنستانس أفضل من معاملتي . وإذا كانت روزالي مازالت تسعى الى صحبتنا فإنها تود أن تتجنب وجود أحدنا معها على انفراد ومازاد الطين بلة أنه بدا لي أن شقيقتي لم تعد تهتم بي أيضا .

دورفال : هذا هو كليرفيل الذي أعرفه : يقلق ويحزن في الوقت الذي يتلمس سعادته بيده

كليرفيل : انك لاتصدق يا عزيزي دورفال . أفلا ترى . . . .

دورفال : انني لا أرى في مسلك روزالي جميعه الا مفارقات طبع متقلب نعهدها حتى من أفضل النساء ويلذ لنا أن نغفرها لهن ، إن شعورهن مرهف وأرواحهن حساسة وأحشاؤهن رقيقة لدرجة أن أقل شك أوأية كلمة ، أو فكرة كافية لأن تثير فيهن الذعر والقلق. ياصديقي : إن أرواحهن شبيهة بالماء البلوري الشفاف الذي ترتسم عليه مناظر الطبيعة الهادئة ، فاذا وقعت عليه ورقة شجرة اضطرب لها سطحه وتأرجحت رسومه .

كليرفيل : (بحزن) انك تواسيني يا دورفال ، ولكن لانجاة لي. وإني لأشعر عن يقين أنني لايمكنني الحياة بدون روزالي ، ومهما كان نصيبي فإني أود أن أعرفه بوضوح قبل وصول أبيها .

دورفـــال : ما الذى يمكننى أن أفعله من أجلك ؟

كليرفيـــل : يجب أن تحدث روزالى .

دورفــال : أحدثهـــــا !

كليرفيـــل : نعم يا صديقى لايوجد شخص آخر في العالم غيرك ، يمكنه أن يردها الىّ ، فإن تقديرها لك يبعث فيّ الأمل كل الأمل .

دورفــال : ماذا تطلب منى يا كليرفيـــــل ؟ ان روزالى لاتعرفنى الا معرفة غير وطيدة ، ثم انى لست الرجل الصالح لمثل هذه المناقشات .

كليرفيـــل : يمكنك أن تفعل كل شيء ولن ترفض لى طلبـــا ، فروزالى تجلك وتتلقاك باحترام حينما تمثل أمامها ، هذا ما سمعته منها فهى لن تجرؤ أبدا أن تستجلب حكمك عليها بأنها ظالمة أو جاحدة أو متقلبة الأهواء، وتلك هى أجلّ ميزة للفضيلة ، انها مجبولـــة على التكشف لعين رائيها ، اذهب يادورفال للقاء روزالى فهى لن تلبث أن تعود إلى كما كانت وكما ينبغى أن تكون .

دورفــال : (وهو يضع يده على كتف كليرفيل) يـــالك من يائس !

كليرفيـــل : أى والله يا صديقى !

دورفــال : أباق أنت على أصرارك .

كليرفيـــل : إنى مازلت مصرّا .

دورفــال : اذن سأستجيب لطلبك .

المنظر السابع

دورفـــال وحـــده

ماهذا المأزق الطارئ ، إننى حيال أخ وأخت ، وصديق لايرحم ، وعاشق لايبصر ، مـــا الذى تريدونـــه منى ؟ يقولون اذهب للقاء روزالى ، وكيف أمتثل وأنا أود أن أختفى حتى عن نفسى ، ماذا سيحدث لى لو حدست روزالى سر قلبى ، وكيف أفرض الكتمان على نظراتى وصوتى وقلبى ومن الضـــامن لى ؟ الفضيلة ؟ وهـــل بقى لى منها نصيب . ؟ . .

الصراع هنا الفضيله

* * *

دراماتورج = إعادة تقسيم النص بشكل مسرحي.

لماذا يفترض الكاتب غباء المتلقي
فقد أصبح واضحاً حسب رولان كروفال
وكلما طالت مرحلة زرع المعلومات
أصبح مملاً، ولكن كلما أسرع في عملية
التفجير أصبح العمل قوياً.

الفصل الثاني

المنظر الأول

روزالى ــ جوستين

روزالى : أى جوستين ! قربى شغلى (وتقرب جوستين المنسج وتتكىء روزالى عليه وهى حزينة . جوستين تجلس فى جهة أخرى وتأخذ الاثنتان فى الشغل ولا تقطع روزالى شغلها الا لتمسح الدموع التى تتساقط على خديها ثم تعود لعملها ويخيم السكون فترة تتوقف فيها جوستين عن الشغل لتتأمل سيدتها) .

جوستين : أهذا هو فرحك بقرب لقاء أبيك ؟ ــ أهذه هى مظاهر البهجة التى أعددتها له . أصبحت منذ زمن لا أفهم دخيلة نفسك وأظن ان ما يحدث بها شىء سىء ، لأنك لم تفصحى لى عنه ، وحسنا فعلت . (روزالى لا ترد ، ولكن تقابل ذلك بالتأوهات والعبرات والصمت) فهل فقدت صوابك ؟ يا آنستى ؟ ، فى الوقت الذى سيصل فيه أبوك ! ومن غد زواجك ، أسألك مرة أخرى هل فقدت صوابك؟

روزالى : لا يا جوستين .

جوستين : (بعد لحظة سكوت) هل حدث مكروه لأبيك ؟

روزالى : لا يا جوستين . (هذه الأسئلة تقع فى فترات تتوقف فيها جوستين عن عملها ثم تعود اليه مرة ثانية) .

جوستين : (بعد لحظة سكوت أطول من الاولى)

هل أصبحت لا تحبين كليرفيل؟

روزالى : لا يا جوستين .

جوستين : (وقد بدا عليها الدهشة)

أهذا هو اذن سبب هـذه التأوهات والعبرات والصمت ؟ حقا ان الرجال في حل من وصفنا بأننا معتوهات ، نشغف اليوم بشيء ثم نمجه غدا . لهم أن يقولوا عنا ما يشاءون ، لعمرى لن أناقضهم اناك لا تنتظرين يا آنستى ان اوافق على مثل هذه النزوة ، فان كليرفيل يحبك بجنون ، وليس هناك أسباب تدعوك للشكوى واذا كانت هناك امرأة تباهى بأن لها حبيبا رقيقا ، وفيا ، أمينا ، وأنها جذبت اليها رجلا ذكيا وسيما وعلى خلق مستقيم فهذه المرأة هى أنت ، ينبغى لك يا آنستى ادراك قيمة الخلق المستقيم ، انى أعجز عن أن أتصور انسانا يكف عن الحب ، وبالأخص اذا كف عنه بلا سبب ، انى حينئذ لا أفقه شيئا .

(وتتوقف جوستين لحظة عن الشغل بينما تستمر روزالى في العمل والبكاء وتعود جوستين إلى الكلام بلهجة لطيفة يظهر فيها الخبث فتقول وهى تشتغل دون ان ترفع عينيها) :

وعلى كل فإذا اصبحت لا تحبين كليرفيل فان هذا شيء يؤسف له ولكن يجب ألا تيئسي كما تفعلين..فماذا ؟ هل لا يوجد في العالم بعده شخص آخر يمكنك ان تحبيه ؟

روزالى : لا يا جوستين .

جوستين : ويحى ! اليك بآخر من كنا ننتظر دخوله علينا .

(وهنا يدخل دورفال وتخرج جوستين وتبتعد روزالى عن المنوال وتسارع إلى مسح دموعها لتمنح للقادم وجها تعلوه السكينة وكانت قد هتفت من قبل عند دخول دورفال) .

روزالى : يا الهى ! انه دورفال .

المنظر الثانى

دورفال : (بتأثر) اسمحى لى يا آنستى قبل رحيلى (وتبدو الدهشة على وجه روزالى عند سماعها هذا) ان استجيب لطلب صديق لى وأن أحاول أن أؤدى له خدمة تتعلق بك ، يعتقد أنها خدمة جليلة جدا ، ولا أحد يهتم بسعادتكما « أنت وهو » أكثر منى ، وأنت تعرفين ذلك ، اسمحى لى أن أسألك : ما الذى ساءك من كليرفيل ؟ ، وكيف استحق منك البرود الذى يقول إنك تعاملينه به . ؟

روزالى : لأننى لم أعد أحبه .

دورفال : الم تعودى تحبينه ؟

روزالى : نعم يا دورفال ، لم أعد أحبه .

دورفال : وما الذى فعله حتى ينال هذا الجزاء المنكر ؟

روزالى : لا شيء فلقد كنت أحبه ثم كففت عن حبه : فقد كنت غير جادة في حبه على ما يبدو دون أن أشعر .

دورفـــال : وهل نسيت أن كليرفيل هو الحبيب الذى أختـــاره قلبك ؟ . . وهل تدركين أنه سيعيش أياما تعسة اذا فقد الأمل في عودة حبك له ؟ . . يا آنستى هـــل تعتقدين أنه يجوز لامرأة عاقلة أن تعبث بسعادة رجل عاقل ؟

روزالى : انى أعرف ما سوف يقال لى في هذا الشأن ، وأنا آسفة على ذلك ، ودائما أوجه اللوم لنفسى ، وياليتنى كنت قلبت .

دورفـــال : انك لست ظالمة !

روزالى : لم أعد أعرف طبيعة نفسى ، وكففت عن تقديرها .

دورفـــال : لماذا عدلت عن حب كليرفيل ؟ ان لكل شىء سببا .

روزالى : انى أحب رجلا آخر .

دورفـــال : (بدهشة ولوم في نفس الوقت) روزالى تفعل هذا ! روزالى التى أعرفها .

روزالى : نعم يا دورفال — وانى أعرف أن مآل حبى سيكون مدعاة لشماتة كليرفيل .

دورفـــال : يا روزالى . . اذا كان . لسوء الحظ . قد حدث . . ان تبع قلبك . . هوى حكم عليه عقلك بأنه آثم فلقد جربت أنا نفسى هذا العذاب ! فكم أشفق عليك !

روزالى : اريدك ان ترثى لى (ويأتى رد دورفال عليها بحركة تدل على الاشفاق) كنت أحب كليرفيل وكنـــت لا أتصور ان احب غيره حينما صادفت من اغتال وفائى لكليرفيل وسعادتنـــا نحن الاثنين فالملامـــح

والخصال والنظرة ورنة الصوت كل شيء في هذا المغتال الذى يجمع بين الرقة والطغيان يطابق صورة أحار لها ، نقشتها الطبيعة في قلبي ، رأيته فآمنت انني وجدت فيه مصداق كل خيالي عن الكمال ، وقد اكتسب أولا ثقتي ، ولم يكن يدور بخلدى أنني أجني على كليرفيل ، ولكن وآسفاه ، حين مستني أول انتباه لهذا كنت قد الفت حب غريمه . . وكيف لا أحبه ! وكل ما كان يتفوه به كنت أفكر فيه دائما . كان كل ما ينطق به ترجمانا صادقا لفكرى ولم يتوان قط عن انتقاد مالم يكن يعجبني وكنت في بعض الاحيان امتدح مسبقا ما كان سيحوز رضاه ، واذا عبر عن شعوره كنت أعتقد أنه حدس شعورى . . وأخيرا ماذا أقول لك ؟ كنت أكاد لا اجد نفسي وانا مع الآخرين (وهنا ترخي نظراتها وصوتها) ولكني اهتديت اليها دواما معه

دورفال : وهذا الانسان المحظوظ هل هو بصير بالسعادة التي هبطت عليه ؟

روزالي : اذا كان الأمر أمر سعادة ، فهو بها بصير .

دورفال : واذا كنت تحبين فانك محبوبة دون شك ؟

روزالي : انك تعرف ذلك يا دورفال .

دورفال : (يتكلم بسرعة) . . نعم انني اعرف ذلك وقلبي يحس به . . ماذا سمعت ؟ . . ماذا قلت ؟ . . من ذا الذي سينقذني من نفسي ؟ (وينظر دورفال وروزالي إلى بعضهما البعض فترة دون أن يتكلما ثم تبكي

روزالى بحرقة ويعلن قدوم كليرفيل) .

سيلفستر : (لدورفال) يطلب كليرفيل يـــا سيدى التحدث اليك .

دورفـــال : (لروزالى) أى روزالى . . ولكن هناك قادم . . هل فكرت في ذلك ؟ . . انه كليرفيل . . انه صديق . . انه حبيبك .

روزالى : الوداع يا دورفال ــ (وتمد يدها فيأخذها دورفال مقبلا اياها في حزن وتقول روزالى) الوداع يا لها من كلمة !

المنظر الثالث

دورفـــال وحـــده

كم بدت لى جميلة وهى تتألم ! كم كان جمالها ساحرا ، ما أهون عندى أن أدفع حياتى كلها من أجل دمعة من عينيها تتساقط في يـــدى » انك تعرف ذلك يا دورفال « ان هذه الكلمات مازال لها صدى في قلبي ولن تبارح ذاكرتى لأمد طويل .

المنظر الرابع

دورفـــال ــ كليرفيـــل

كليرفيـــل : اعذر نفاد صبرى .
انبئنى اذن يادورفال (دورفال مضطرب يحاول أن يتماسك فلا يفلح الا قليلا ، كليرفيل يحاول أن يطالع ملامحه ويتبين اضطرابه ولكنه يخطئ في ادراك سببه) أنت مضطرب ، لسانك ملجم وعينـــاك مغرورقتان

بالدموع ، أدركت نتيجة مسعاك ، اذن فقد قضى على ، (يقول هذا ثم يرتمى في حضن صديقه ويبقى هكذا ساكنا لفترة ، ويبكى دورفال وتتساقط دموعه على كليرفيل فيقول هذا الأخير دون أن يتحول عن وقفته بصوت تقطعه الزفرات) مـاذا قالت ؟ ماهى جريمتى ! أرجوك يا صديقى أن تجهز على .

دورفـال : أجهز عليك !

كليرفيـل : انها أنفذت خنجرها الى قلبى ، وأنت الرجل الوحيد الذى قد يقدر على انتزاعه ، ولكنك تتباعد عنى وتتركنى ليأسى ، حبيبتى تخوننى ، وصديقى يهجرنى فماذا سيكون حالى ؟ ألا تقول لى شيئا يادورفال ؟

دورفـال : وماذا عساى أن أقول لك ؟ انى أتهيب من الكلام .

كليرفيـل : وأنا أخاف أكثر منك سماعه ، ومع ذلك تكلم ، على الأقل ستبدل سبب عذابى فأنا أعد صمتك الآن أكبر عذاب لى .

دورفـال : (مترددا) روزالى .

كليرفيـل : (مترددا أيضا) روزالى ! . .

دورفـال : يبدولى أنها كما قلت لى أنت بنفسك لم تعد لها هذه اللهفة عليك التى كانت تبشرك بسعادة وشيكة .

كليرفيـل : اذن فقد تغيرت ؟ ما الذى تلومنى عليه ؟

دورفـال : لك أن تقول أنها لم تتغير ، وهى لاتلومك على شىء . . ولكن أباها . . .

كليرفيـل : أبوها — هل سحب موافقتـه ؟

دورفـال : لا ولكنها تنتظر عودته . . وهى خائفة . . وأنت تعلم أكثر منى أن أىّ فتاة من أصل عريق تنتابها المخاوف دائما .

كليرفيـل : لم يعد ثمة خوف فلقد زالت جميع العقبات بوفاةأمها التى كـانت تعترض على حبنا ، وأبوهـا لم يقرر الحضور الا ليزوجنى من ابنته ويقيم بيننا ويقضى عمره فى سكينة ، فى وطنه مع أسرته وبين أصدقائه حسبما يتراءى لى من خطاباته ، فلن يكون هذا الشيخ الجدير بالتوقير أقل حزنا منى . وانظر يادورفال كيف لم يعقه شىء عن الحضور ، فلقد باع ممتلكاته ، وحمل ثروته كلها وأقدم وهو يبلغ من العمر الثمانين عاما فيما أظن على السفر فى بحـار تعج بمراكب الأعداء .

دورفـال : ينبغى ياكليرفيل أن تنتظر قدومه ، وأن يكون لك العشم فى طيبة الأب ، وأمانة البنت ، وثبات حبك ، وفى صداقتى لك ، ولن ترضى العناية الالهيةلأناس طبعتهم فيما يبـدو على مواساة الغير وحثهم على الفضيلة أن تحكم عليهم بالتعاسة دون ذنب جنوه .

كليرفيـل : انك تريدلي اذن أن أعيش ؟

دورفـال : وكيف لا أريد ؟ ياله من سؤال . . لو أن كليرفيل أمكنه أن يقرأ مافي قرارة قلبي !! ولكنى استجبت الى ما كنت تطلبه منى .

كليرفيـل : ينبئنى حديثك مع الأسف انك أصبحت فى حل من السفر ، فارحل ياصديقى ومادمت قد رضيت أن

تتخلى عنى وأنا في هذا الكرب فليس لى الا أن أصدق ما تتذرع به من دواعى رحيلك عنا ولكنى أستأذنك ان تتريت قليلا ، فان أختى قد اضطرت الى الخروج أقلقها انتشار اشاعة مؤسفة عن ثروة روزالى وعودة أبيها ، وقد وعدتها أن لا أتركك تسافر قبل عودتها فلا ترفض رجائى وانتظرها .

دورفــال : وهل هناك شيء تطلبه كنستانس ؟ ولا استجيب له ؟

كليرفيــل : كنستانس يا للأسف ! لقد جال في خاطرى أحيانا ، ولكن لنؤجل هذه الخواطر الى وقت أفضل .

المنظر الخامس

دورفــال : (وحده) يا لتعاستى ! خلفت في قلب شقيقـــة صديقى حبا شديدا تكتمه ، ولم أتورع وعشقـــت خطيبته ، وهى أيضا تعشقنى . . وماذا أنا فاعل في بيت ملأته اضطرابا وأين الأمانة ؟ هل في سلوكى شيء منها ؟ (وينادى كالمجنون بأعلى صوته) ! شارل ! شارل ! عبثا أناديه ، أصبحت لا أجد عونا من أحد (يرتمى على مقعد ويسرح بذهنه ويكون كلامه بعد ذلك متقطعا) ليتنى أستطيع أن أقول انهم أول اناس تسببت في تعـــاستهم ، ولكن لا ، إنى أجر ورائى التعاسة أينما سرت . . ما الانسان إلا مخلوق مسكين تتلاعب به الاقدار ، واهم في زهوه بخلود ما ملك عرضا من سعادة واستقامة ، قد حضرت هنا ومعى نفس نقية : . نعم وما زالت نقية . . ووجدت ثلاثة أشخاص حابتهم السماء ، سيدة فاضلة هادئـــة ،



وحبيب ولهان وحبيبة شابة عاقلة حساسة تبادله الحب، ولقد فقدت المرأة الفاضلة هدوءها فهى تكن لى في قلبها حبا يعذبها وانتاب الحبيب اليأس ، أما حبيبته فلقد أصبحت غير وفية وزادت تعاستها . . هل هناك شيء أكبر من ذلك يمكن لوغد أن يفعله ؟ . . آه انت يا من بيدك تصريف كل أمر ، أنت سقتنى إلى هذا البيت : هلا أبَنْتَ لى من حكمتك ، فانى حائر (ويصيح ثانية) شارل ! شارل !

المنظر السادس

دورفال – شارل سيلفستر

شارل : سيدى ! لقد أعددت الجياد وكل شيء جاهز (ثم يخرج . . يدخل سيلفستر) لقد عادت سيدتى توا وستنزل حالا .

دورفال : كنستانس ؟

سيلفستر : نعم يا سيدى (ثم يخرج) .

(ويدخل شارل ويقول لدورفال الذى يستمع وينظر اليه متجهم الوجه معقود الذراعين)

شارل : (وهو يبحث في جيوبه) سيدى – انك تربكنى هكذا بقلة صبرك . . لا – يظهر أن العقل قد طار من هذا البيت . اللهم اجعلنا نلتقى به في طريقنا ! . . لم أتذكر أن معى خطابا . والآن عندما تذكرته لا أجده (ويبحث عنه ثم يجده أخيرا ويسلمه لدورفال) .

دورفال : اعطنى اياه (ويخرج شارل) .

المنظر السابع

دورفـــال : (وحده) ـ وهو يقرأ : ان العار يلاحقنى وكذلك وخز الضمير ـ أنت تعرف يا دورفال فرائـــض البراءة ـ فهل تراني مجرمة ؟ . . انقذنى ! . . لم يعد يا للأسف متسع لانقاذى . . انني أرثى لابى ! . . أبى ! وكليرفيل إني أفديه بحياتى . . الوداع يادورفال لايكفى أن أفديك بحياتى . لـــو كان لى الف حياة لفديتك بها ـ أنت راحل ، وأنا سيقضى على الالم (وبعد أن يقرأ دورفال الكتاب بصوت متهدج وهو شديد الاضطراب يرتمى على الكرسى ويبقى لحظـــة ساكنا ثم ينظر إلى الخطاب بعين زائغة سارحة وهو يمسكـــه بيد مرتعشة ويعيـــد قراءة بعض جمل منه) العار يلاحقنى وكذلك وخز الضمير » أنا الذى ينبغى لى أن أخجـــل وأن أتعـــذب انك تعرف فرائض البراءة ؟ » لقد كنت أعرفها قديما . . هـــل أنـــا مجرمة ؟ . . لابل أنا المجرم . . » أنت راحل وأنـــا سيقضى على . . . . يا للسماء ! أرانى الآن منساقا إلى الاستجابة والخضوع لها . . ! (ويقف ثم يقول) : فلأنزع نفسى من هنا ! . . انى أود . . لا يمكننى . . إن عقلى يختلط . . في أى ظـــلام سقطت ؟ . . أى روزالى لبيك أيتها الفضيلة ، لبيك ! أيها العـــذاب ! (وبعد لحظة سكوت يقف ولكن بمشقة ويقـــترب ببطء من منضدة ويخط بعض سطور بصعوبة ولكن بينما هو مستمر في الكتابة يدخل شارل وهو يصيح) :

المنظر الثامن

دورفال ــ شارل

شــارل : النجدة يا سيدى . انهم يقتلون . . كليرفيل . . (ويترك دورفال المنضدة التى كان يكتب عليهامخلفا خطابه الذى لم يكمله ويخطف سيفه من على مقعــد ويجرى لانقاذ صديقه وأثناء ذلك تدخل كنستانس التى تدهش لأن السيد وخادمه قد تركاها وحدها) .

المنظر التاسع

كنستانس : (وحدها) : ما معنى هــذا الهروب ؟ . . كــان المفروض أن ينتظرنى ثم لا أكاد أحضر حتى يختفى هو . . انك لست خبيرا بى يا دورفال . . يمكننى أن أشفى من حبى (وتقترب من المنضدة وترى الخطاب الــذى لم تستكمل كتابتــه) خطاب ! (وتمسك بالخطاب وتقرأ) « انى أحبك وسأهرب . . ولكن بعد فوات الاوان مع الاسف . . انى صديــــق كليرفيل وواجب الصداقة وقواعد الضيافة المقدسة؟ . » يا للسماء ! ويا لسعادتى ! يحبنى . . تحبنى يادورفال . . (وتمشى جيئة وذهابا وهى منفعلة) لا ــ لن تسافر ــ ان مخاوفك تافهة . . وتلطفك لا مقتضى له . . . . ولك كل حبى وحنانى . . انك لا تعرف كنستانس كما لا تعرف صديقك ــ لا ، لا تعرفهما . . « لعله وأنا واقفة هنا أتكلم قد غادرا البيت وهرب » .

(وتخرج من المسرح مسرعة) .

الفصل الثالث

المنظر الاول

دورفال – كليرفيل

(يدخلان وعلى رأس كل منهما قبعته – ويخلع دورفال قبعته ويضعها مع سيفه على الكرسي)

كليرفيل : ثق أن ما فعلته أنا كان سيفعله أى شخص آخر في مكانى .

دورفال : أعتقد ذلك ولكنى أعرف أن كليرفيل سريع الانفعال .

كليرفيل : كنت من شدة الألم لجرح كرامتى لا أحتمل أقل اهانة . . ولكن ما رأيك في الاشاعات التى جعلت كنستانس تذهب لزيارة صديقتها ؟

دورفال : ليس هذا بيت القصيد .

كليرفيل : معذرة فان الاسماء تطابقت ودار الكلام عن سفينة وقعت في الاسر وعن شيخ اسمه ميريان .

دورفال : أرجوك ، لنترك لحظة هذا المركب وهذا الشيخ ولنعد إلى مشكلتك ، لماذا تخفى عنى شيئا يتكلم عنه جميع الناس حاليا وكان من الواجب أن أعرفه .

كليرفيل : كنت أحب أن يبلغك به أحد غيرى .

دورفال : ولكن لا ثقة لى بأحد غيرك .

كليرفيـــل : ما دمت مصمما على أن أتكلم فانى أقول لك : ان المسألة تخصك .

دورفـــال : تخصنى أنا ؟

كليرفيـــل : نعم تخصك ، ان الشخصين اللذين أنقذتنى منهمـــا كلاهما شرير حقير اولهما طردته كنستانـــس من خدمتها لكثرة رذائله والثانى كان في وقت مايطارد روزالى بمراميه الغرامية وكان الرجلانعند سيدة — كانت شقيقتى في زيارتها وخرجت من عندها منذ قليل — وسمعتهما يتكلمان عن سفرك ، لأن كـــل خبر ينتشر هنا ،وكان جدالهما هل سفرك يسعدك ام يشقينى وكان سفرك قد أثار دهشتهما .

دورفـــال : ولم الدهشة ؟

كليرفيـــل : لأن أحدهما يقول : ان شقيقتى تحبك .

دورفـــال : ان هذا الحديث يشرفنى .

كليرفيـــل : ويقول الآخر انك تحب حبيبتى .

دورفـــال : أنـــا !

كليرفيـــل : نعم أنت .

دورفـــال : روزالى ؟

كليرفيـــل : نعم روزالى .

دورفـــال : كليرفيل وهل تصدق . . . . . . !

كليرفيـــل : انى أعتقد أنك لا تخون (ينفعل دورفال) هيهـــات لقلب دورفال ان يحتله شعور دنىء وهيهات لذهن كليرفيل ان يخامره شك مهين .

دورفــال : اعفنى من هذا المديح .

كليرفيــل : انت تستحقه منى ، لذلك فانى سددت اليهما نظرات تتقد بالغضب والاحتقار (ولكى يبدى كيف كان حالــه حينئذ ينطق عينيه الآن بنظرات الغضــب والاحتقار التى كان يسددها للرجلين ويوجه هــذه النظرات إلى صديقه فلا يستطيع دورفال ان يحتملها ويدير رأسه ويخفى وجهه براحتيه ، ويزداد عذابه حين يمضى كليرفيل قائلا) : وأفهمتهما ان الخسة التى يضمرها الانسان في قلبه هى عين الخسة الـتى يسارع إلى تلمسها في قلب غيره وانى أينما حللــت أتوقع ان تحترم حبيبتى وتحترم أختى ويحترم صديقى . وأظنك توافقنى على مسلكى .

دورفــال : لا يمكننى أن الومك عليه . . . لا . . . ولكن . . .

كليرفيــل : لم يمض كلامى دون أن يلقى جزاءه منهما فلما خرجا وخرجت في أثرهما هجما على .

دورفــال : وكنت ستهلك ان لم أكن قد سارعت إلى نجدتك .

كليرفيــل : من المحقق أننى مدين لك بحياتى .

دورفــال : لو أننى تأخرت لحظة لكانت جناية قتلك جنايتى .

كليرفيــل : كيف يتراءى لك ذلك ، قل انك حينئذ كنت ستفقد صديقا وتبقى بريئا كما أنت هل كان بوسعك ان تتوقى الشكوك الدنيئة .

دورفــال : ربمــا .

كليرفيــل : ان تمنع القدح البذىء .

غير منطقي في هذا المشهد أن هذا الحدث لم يحدث إلا بينما
أراد دورفال أن يسافر وبينما أخي خرج خارج البيت أثناء
أن يسافر

دورفال : ربما . (هذه ميلودراما) لأنها ملفقة ،

كليرفيل : كم أنت ظالم لنفسك .

دورفال : ما أجل الطهر والفضيلة ، تخذلى أمامهما كل رذيلة خبيثة .

المنظر الثانى

دورفال — كليرفيل — كنستانس

كنستانس : دورفال — أخى — أى جحيم من القلق رميتما بنا فيه ، انى لا أزال أرتعد كما تريان وروزالى مضعضعة تكاد تفارقها الحياة .

دورفال وكليرفيل : (معا) روزالى ! (ويتماسك دورفال فجأة) .

كليرفيل : سأذهب اليها ، سأسرع اليها .

كنستانس : (وهى تمسك بذراعه لتوقفه) : هى مع جوستين وأنا قادمة من عندها فلا داعى للقلق عليها .

كليرفيل : نعم انى قلق عليها . كما أنى قلق على دورفال . . فهو مكتئب دون أن نفهم لذلك سببا . . في الوقت الذى أنقذ فيه حياة صديقه ! ياصديقى لماذا لاتلق بهمومك الى رجل يشاركك مشاعرك جميعها ، رجل اذا كان سعيدا فلن يعيش الا من أجل دورفال ومن أجل روزالى .

عبارة مستغربة

كنستانس : (تسحب خطابا من صدرها وتعطيه أخاها وتقول) : خذ يا أخى — هاهو السر الذى يخبئه ، وسرى أنا وأظنه سبب كآبته .

تصوروا أنه لا يطلب كنتاس لأنه ابن طبيعي

كليرفيل : (يأخذ الخطاب ويقرؤه بينما دورفال وقد تعرف على الخطاب الذى كان يكتبه لروزالى يصيح) .

دورفال : يا الهى ! انه خطابى !

كنستانس : نعم يادورفال انك لن ترحل — انى أعرف كل شىء واستقام كل وضع ، ماهذا التلطف الذى جعل منك خصما لسعادتنا ؟ . . انك اذن تحبنى . . وتكتب لى ! وفي الوقت نفسه تهرب منى ! . . (ودورفال عند سماعه لكل كلمة من هذه الكلمات يظهر انفعاله وعذابه) .

دورفال : كان يجب على أن أفعل ذلك ومازال هذا واجبى انى فريسة قدر قاس يلاحقنى ، ياسيدتى هذا الخطاب . . (بصوت خافت) يا الهى ! ماذا كنت سأقول .

كليرفيل : ماذا قرأت ؟ سيصبح صديقى ومنقذ حياتى أخا لى ! ان هذا يزيد من سعادتى ومن اعترافي بجميله !

كنستانس : ها أنت ذا أخيرا تدرك من فيض بهجته حقيقة شعوره وان تلطفك وحذرك غير عادلين وأنه لا يوجد مبرر لقلقك ولكن ماهو السبب المجهول الذى يجعلك تخفى شعورك ؟ واذا كنت قد اكتسبت ودك يادورفال فلماذا لم أحز ثقتك ؟

دورفال : (يبدو مرهقا ويتكلم وفي صوته رنة حزن) . . كليرفيل .

كليرفيل : انك حزين يا صديقى .

دورفال : هذا صحيح .

كنستانس : تكلم ، لا ترهق نفسك بالكتمان وامنح صديقك بعض ثقتك يادورفال .

(دورفال يستمر في سكوتـه وتكمل كنستانس حديثها) : ولكنى أرى ان وجودى يسبب لك حرجا ظاهرا ، سأتركك مع أخى .

المنظر الثالث

دورفــال – كليرفيــل

كليرفيــل : انا وحدنا يادورفال . . . هل كنت تشك في أنى سأوافق على زواجك من كنستانس ؟ ولماذا أخفيت على ميلك لكنستانس ؟ ان لكنستانس العذر لأنهـا امرأة . . . أما أنت ! . . . لماذا لاتجيب ؟

(دورفال يستمع مطأطأ الرأس معقود الذراعين)

هل كنت تخشى أختى لو علمت ظروف مولدك أنها . . . . .

دورفــال : (وهو لم يغير من وضعه ولكنه يدير رأسه نحـو كليرفيل) :

انك تجرح شعورى ياكليرفيل ، ان لى نفسا يصونها نبلها عن التفكير في مثل هذه المخاوف ، لو كانت أختك تستسيغ ان تتقيد في حكمها على الناس بالحسب والنسب اذن لما تحرجت من القول بأنها غير جديرة بى

كليرفيــل : ولكن مهلا يا دورفال فانى أراك غارقا في حزنك المتسلط عليك على حين أن كل شيء يبدو معينا عـلى تحقيق آمالك .

دورفال : (بصوت خافت وبشيء من المرارة والسخرية) .
هنيئا لى هذا التوفيق العجيب في كل أمورى !

كليرفيل : ان هذا الحزن يصيبنى بالقلق والحيرة فتنتابنى الأوهام ولو أنك زدت من ثقتك بى لشفيتنى من أوهام باطلة عديدة . . أنت صديقى لم تفتح لى قلبك قط . فدورفال لا يعرف كيف يكشف عما في سريرته . . فنفسه منطوية . . ولكن هل فهمتك يا صديقى ؟ هل كنت تخشى ألا يكون لدى ثروة كافية ، للزواج من روزالى اذا ما حرمت — عندما تتزوج كنستانس للمرة الثانية — من نصف الثروة التى كان من المؤكد أن تئول كلها الىّ بالرغم من أنها ثروة غير كبيرة في الحقيقة ؟

دورفال : (بحزن) . . هاهى روزالى ! . . حاول يا كليرفيل أن تهون عليها ماقاسته عند سماعها بالخطر الذى تعرضت لـه .

المنظر الرابع

دورفال وكليرفيل وروزالى وجوستين

كليرفيل : (وهو يسرع لاستقبال روزالى)
هل صحيح أن روزالى خافت أن تفقدنى وأنها خشيت على حياتى ؟ فكم تكون غالية عندى تلك اللحظة التى أموت فيها اذا كانت تشعل في قلبها شرارة واحدة من الاهتمام بى !

روزالى : في الحقيقة أن عدم حرصك جعلنى أرتعش .

كليرفيل : كم أنا محظوظ ! (ويريد أن يقبل يدها ولكنها تسحبها) .

روزالى : لا تفعل ياسيدى انى أشعر بكل ما ندين به لدورفال، ولكننى لا أجهل انه مهما كانت الطريقة التى تنتهى بها مثل هذه الحوادث بالنسبة للرجل فانها دائما ثقيلة على قلب المرأة .

دورفال : يا آنستى أن الصدفة تدعونا للعمل، وللشرف قوانينه .

كليرفيل : كم يؤسفنى أنى حملتك على الاستياء منى ، ولكن رفقا بمحب لا فوق لطاعته وحنانه لك ، اما اذا شئت لا تترفقى على فعلى الاقل لا تزيدى من عذاب صديق لن ينعم بالسعادة الا في ظل من عدلك ، إن دورفال يحب كنستانس وهى تحبه وكان سيرحل ولكنه عثر على خطاب من كنستانس كشف به عن كل شيء قولى كلمة واحدة يا روزالى وسوف نرتبط جميعا برباط أبدى — دورفال وكنستانس وكليرفيل وروزالى . كلمة واحدة ! وسوف تحيط السماء هذا المنزل ثانية بعين الرعاية .

روزالى : (وهى تسقط على الكرسى) انى أموت .

دورفال وكليرفيل : (معا) يا للسماء ! انها تموت (ويجثو كليرفيل تحت اقدام روزالى) .

دورفال : (ينادى الخدم) شارل) — سلفستر — جوستين .

جوستين : (وهى تحاول اسعاف سيدتها) هكذا يا آنستى .. كنت تريدين الخروج وتوقعت لك أن يغمى عليك.

روزالى : (تستفيق وتقف) هيا بنا يا جوستين.

كليرفيل : (يود أن يمد لها ذراعه لتستند عليه) روزالى ..

روزالى : اتركنى .. أننى أكرهك .. أقول لك اتركنى ..

المنظر الخامس

دورفال وكليرفيل

كليرفيل : (يترك روزالى وهو كالمجنون – يمشى جيئة وذهابا ثم يقف ويتأوه من الالم والغيظ ويتكىء على ظهر الكرسى ورأسه على راحتيه وقبضته على عينه ويسود السكون لحظة ثم يقول) : أفوق هذا البلاء بلاء، أهذا هو جزاء حرصى على ارضائها، أهذا هو ثمرة حنانى كله! » اتركنى .. انى أكرهك (ويصيح صيحة يأس ثم يتمشى بانفعال وهو يكرر بلهجات مختلفة عنيفة) اتركنى .. انى أكرهك (ثم يرتمى على كرسى ويبقى هكذا لحظة صامتا ثم يقول بصوت مبحوح خافت) : انها تكرهنى !... وماذا فعلت لتكرهنى ! انى غلوت في حبها !) يسكت لحظة أخرى ويقف ويتمشى – ويبدو وكأنه قد هدأ قليلا ثم يقول) : نعم انها تبغضنى – انى أرى ذلك – انى أحس بذلك.

دورفال : انت صديقى – هل يجب على ان أبتعد عنها ..

وأموت ؟ تكلم وسيتوقف على قرارك مصيرى .
(يدخل شارل بينما كليرفيل يمشى ذهابا وايابا) .

المنظر السادس

دورفال — وكليرفيل — وشارل

شارل : (وهو ينتفض مخاطبا كليرفيل وقد تجلى له انفعاله) : سيدى . .

كليرفيل : (وهو ينظر اليه من الجنب) : ماذا ؟

شارل : ان هناك شخصا مجهولا يطلب التحدث إلى أى منكم هنا .

كليرفيل : (بانفعال) لينتظر .

شارل : (وهو ما زال ينتفض وبصوت خافت جدا) : إنه شخص مسكين وهو ينتظر من مدة .

كليرفيل : (وقد نفذ صبره) : فليدخل .

المنظر السابع

دورفال وكليرفيل — وجوستين — وسيلفستر — وأندريه — والخدم الآخرون الذين يعملون بالمنزل وقد بعثهم الفضول إلى الدخول ينتشرون هنا وهنالك على المسرح وجوستين تصل بعد الآخرين بوقت قليل .

كليرفيل : (بانفعال) من أنت ؟ وماذا تريد ؟

أندريه : ان اسمى أندريه ياسيدى ، وإنى في خدمة سيد

شيخ شريف ولقد شاركته حمل كل المصائب التى نزلت به ، وكنت قد حضرت لأعلن لابنته عن عودته .

كليرفيل : لروزالى ؟ .....

أندريه : نعم ياسيدى .

كليرفيل : مصائب أخرى تستجد علينا ! أين سيدك ؟ ماذا فعلت به ؟

أندريه : كن مطمئنا ياسيدى فهو مازال على قيد الحياة وسيحضر وسوف أخبركم بكل شىء إذا « لم تخنى قواى » وتفضلتم بسماعى .

كليرفيل : تكلم .

أندريه : لقد سافرنا أنا وسيدى على المركب المسماه : (الاباران « من ميناء فور ـ رويال في اليوم السادس من شهر يوليو ولم يكن سيدى في يوم ما أحسن صحة مما كان عليه في ذلك اليوم ولا أكثر بهجة ، فتارة يدير وجهه نحو الجهة التى تسوقنا اليها الريح ويرفع راحتيه إلى السماء يرجو عودا سريعا ، وتارة ينظر إلى بعينين يملؤهما الأمل ويقول : « يا أندريه باق خمسة عشر يوما وأرى أولادى وأقبلهم . وأكون سعيدا مرة على الأقل قبل أن أموت .

كليرفيل : (يتأثر وهو يوجه كلامه لدورفال) : هل تسمع ؟ انه كان يعدنى بمثابة ابنه ويطلق على هذا اللقب المحبب :

ابن ... ثم ماذا ! يا أندريه ؟

أندريــه : ماذا أقول لك ياسيدى ـ لقد كانت رحلتنا أسعد الرحلات وكنا على مشارف شاطئ فرنسا واستقبلنا الأرض بصيحات البهجة والسرور بعد أن نجونا من أخطار البحار ، وتساوينا جميعا ، القبطان ومساعدوه والركاب والبحارة في تبادل القبلات ، وكانت بعض المراكب تقترب منا وتصيح : السلام ! السلام ! وعندما اقتربنا منها أكثر ـ بناء على هذه الصيحات الخائنة ـ تم اعتقالنا .

دورفال وكليرفيل : (وهما يعبران عن دهشتهما وألمهما كلٌ طبقـا لما يوافق طبعه) .. اعتُقلتم !

أندريــه : عندما رأى سيدى ذلك تساقطت الدموع من عينيه ، وكانت تنبعث منه الزفرات العميقة وكان ينظر حوله ويمد ذراعيه ويبدو كأن روحه تنطلق إلى هذه الشواطئ التى كنا نبتعد عنها ولكن عندما غابت هذه الشواطئ عن نظرنا جفت عيناه وانقبض قلبه ولم يعد يبعد نظره عن الماء واعتراه الحزن والألم والعبوس مما جعلنى أخشى على حياته ، وكنت أقدم لــه مرات ومرات الخبز والماء فكان يردهما) (ويتوقف أندريه لحظة ليبكى) وهكذا حتى وصلنا إلى مياه العدو ، وأرجو أن تعفونى من سرد ما حدث بعد ذلك . . فلن يمكننى أبدا سرده .

لا توجد له حاجة درامية ملحة (يحذف التطويل)

كليرفيــل : استمر يا أندريه .

أنــدريه : جردونى من كل شى وقيدوا سيدى بالسلاسل وهنا لم أتمكن من أن أمسك نفسى عن الصراخ فأخذت أنادى سيدى مرات كثيرة : « سيدى .. سيدى الغــالى » فسمـــع نـــدائى ونظـــر إلى وترك ذراعيه تسقطان إلى جانبه في حزن وأدار ظهره لى ثم تبع من يحيطون به دون أن يتكلم ، أما أنا فقد ألقوا بى في الوحل دون رحمة في أعمق مكان في مبنى من المبانى مع جمع من التعساء المهملين الذين يكادون يموتون من الجوع والعطش والمرض . ولكى أصف لكم في كلمة واحدة كل البؤس الذى كان يسود هذا المكان أقول لكم انى سمعت فيه فيه كل طبقة من تأوهات الألم ونفثات اليأس ، فلقد كنت كلما نظرت حولى وفي أى اتجاه رأيت الذين يموتون .

كليرفيــل : أهذه هى الشعوب التى يمتدحون لنا حكمتهــا ويناشدوننا دائما أن نتمثل بها؟أهكذا تكون معالجلتها للانسان .

دورفــال : كم تبدلت نوازع هذه الأمة الكريمة .

أندريــه : مكثت ثلاثة أيام وأنا مندس وسط حشد من جثث الموتى واجساد المحتضرين وكلهم من الفرنسيين كلهم من ضحايا الخيانة ــ بعدها أخرجونى من هذا المكان وغطوا جسدى بقطع مهلهلة واقتادونا أنا أنا وبعض زملائى التعساء الى المدينة مارين بشوارع تغص بجمهور مجنون كان يصب علينا اللعنات

والشتائم بينما كان هناك أناس يختلفون كل الاختلاف عن هؤلاء ، وكانت الضجة قد جذبتهم إلى النظر الينا من نوافذ منازلهم بمطروننا بالنقود والمعونات .

دورفـــال : أي خليط لا يمكن تصوره من الإنسانية والخير والبربرية .

أندريـــه : ولم أكن أعرف ما إذا كانوا يقودونني إلى الحرية أم إلى التعذيب .

كليرفيـــل : وسيدك ياأندريه .

أندريـــه : لقد ذهبت لرؤيته وكان هذا أول عمل خير أسداه لنا عميل قديم استطاع سيدى أن يخبره بما أصابنا . وصلت الى أحد سجون المدينة وفتح لى باب زنزانة مظلمة نزلت فيها وبقيت مدة بدون حركة وسط هذه الظلمات ، ثم وصل مسامعي صوت شخص يحتضر ويقول وهو يتلاشى « هل هذا أنت يا أندريه ؟ انى أنتظرك منذ وقت طويل » وأسرعت الى المكان الذى ينبعث منه هذا الصوت فلمست ذراعا جرداء تبحث في الظلام فأمسكتها وأخذت أقبلها وأبللها بدموعى لقد كانت ذراع سيدى (ويكف أندريه قليلا عن الكلام ثم يقول) : وكان سيدى عارى الجسد مسجى على الارض الرطبة . . وقال لى بصوت خافت : « ان التعساء المحيطين بى استغلوا شيخوختى وضعفى وانتزعوا منى لقمة الخبز واستولوا عـــلى الحصيرة التى أرقد فوقها (وهنا يصرخ الخـــدم المنتشرون على المسرح صرخـــة ألم ، وقـــد تهالك

كليرفيل . . فيشير دورفال الى أندريه بالتوقف لحظة ويكف أندريه عن الكلام ثم يواصل حديثه وهو ينتحب) : فتجردت من قطع الثياب المهلهة التى كانت تستر جسدى ووضعتها تحت سيدى الذى أخذ بصوت متحشرج يشكر السماء على كرمها .

دورفـــال : (يكلم نفسه بصوت خافت فيه مرارة) السماء التى جعلته يموت في قاع زنزانـــة على ثياب خادم مهلهلة !

أندريـــه : فتذكرت حينئذ الصدقات التى حصلت عليها فطلبت النجدة وأخذت أحاول ارجاع الحياة لسيدى الشيخ الوقور وعندما بدأ يسترجع قواه قال لى : تشجع يا أندريه فسوف تخرج من هنا أما أنا فانى أشعر بسبب ما أحس به من ضعف أننى سأموت هنا ـــ « وأحسست بذراعيه يطوقان عنقى وبوجهه يقترب من وجهى ودموعه تجرى على خدى وقال لى : » « ياصديقى ــ وطالما نادانى بهـــذا الاســـم ــ انك ستحضرنى عندما ألفظ أنفاسى الأخيرة ، بلغ آخر كلماتى لابنائى . ياللتعاسة ! كان يجب أن يسمعوا هذه الكلمات منى أنا ! .

كليرفيـــل (ينظر لدورفال وهو يبكى) : أبناؤه !

أندريـــه : انه قال لى في أثناء رحلتنا على المركب انه فرنسى الأصل وان اسمه الحقيقى ليس ميريان ، وانه عندما رحل عن وطنه ترك لقب الاسرة لأسباب سأعرفها يوما ما . يا الهى ! انه لم يكن يعتقد أن هذا اليوم جد

قريب ! وكـــان يبعث الزفرة تلو الزفـــرة وكان سيبلغنى بأشياء أكثر من ذلك ، ولكن سمعنا باب الزنزانة يفتح ونادى على هذا العميل القديم الذى كنا قد اجتمعنا بفضله والذى حضر ليطلق صراحنا وكم كان ألمه عظيما عندما ألقى بنظره على شيخ بداله كأنه جثة بها بقية من نبض ! فأخذت الدموع تتساقط من عينيه فخلع ملابسه وغطى بها سيدى وذهبنا لنقيم عنده حيث شملنا بجميع مظاهر العطف وحسن الضيافة وكان وجه هذا الرجل الشريف يحمر خجلا من قسوة أمته وظلمها .

دورفـــال : لاشيء مهين أكثر من الظلم !

أندريــــه : (وهو يمسح عينيه ويرجع الى حالته الهادئة). وبعد قليل استرجع سيدى بعض صحته وقواه وقدمت له المعونة وأعتقد أنه قد قبل هذه المعونات لأنه عندما لم نكن نملك ما نشترى به قطعة خبز ، وكل شئ أعد لعودتنا وكنا على استعداد لأن نرحل فسحبنى سيدى وانتحينا جنبا « ولن أنسى هذا طول حياتى » وقال لى » ألم يعد لديك يا أندريه شئ تفعله هنا ؟ فأجبت « لاياسيدى » قال : وزملاؤنا الذين تركناهم في البؤس الذى أخرجتنا منه رعاية السماء ألم تعد تفكر فيهم ؟ هيا يا ابنى اذهب لنقول لهم وداعا«فأسرعت اليهم » يا الهى ! لم يبق من هذا العدد الضخم مـن المساكين الا عدد ضئيل وفي حالة من الضعف تجعل أكثرهم لاقوة لديهم لبسط اليد لتلقى المعونة .وهذه

هى ياسيدى تفاصيل رحلتنا التعسة (ويبقى الجميع في صمت طويل بينما أخذ دورفال يتجول حتى نهاية حجرة الاستقبال وهو سارح الفكر ثم يستطرد أندريه في روايته فيقول) : لقد تركت سيدى في باريس ليأخذ قسطا من الراحة وكان ينتظر بفرح عظيم أن يلتقى فيها بصديق له (وهنا يستدير دورفال نحو أندرية وينصت اليه بانتباه) ولكنه وجد هذا الصديق غائبا منذ أشهر طويلة عن باريس وكان في نية سيدى أن يسافر بعد سفرى بوقت قصير (ويستمر دورفال في تجوله سارح الفكر) .

كليرفيـــل : وهل رأيت روزالى ؟

أندريــــه : لاياسيدى انى لا أحمل اليها الا الألم ولم أجرؤ على المثول أمامها .

كليرفيـــل : اذهب لتستريح يا أندريه – ياسيلفستر انى أوصيك به خيرا . . فلا تدعه في حاجة الى شيء (ويلتف جميع الخدم حول أندريه ويمسكون به ويأخذونه) .

المنظر الثامن

دورفـــال وكليرفيـــل

(وبعد فترة صمت لم يتحرك فيها دورفال ، بل بقى مطأطئ الرأس يفكر وهو مكتوف الذراعين « وتلك عادته دائما » أما كليرفيل فقد أخذ يمشى بانفعال وهو يقول) :

كليرفيل : أواه ! ياصديقى ألا ترى أن يومنا هذا قد تلقت فيه

الأمانة طعنة نجلاء أفتعتقد أن هناك في أى مكان في الأرض وأنا أكلمك الآن من هو شريف وسعيد

دورفـــال : انك تريد أن تقول : من هو شريف وسعيد . ولكن لنترك الأخلاق جانبا ياكليرفيـــل ان المـــرء لا يحكم حكما عادلا على الأخلاق عندما يعتقد أن السماء لاتساعده . . وماهى الآن مشروعاتك ؟

كليرفيـــل : انك ترى مقدار تعاستى : لقد فقدت حب روزالى يا الهى ! ان هذا الحب هو الشيء الوحيد الذى آسف على فقده ، انى لا أشك لحظة في ان قلة ثروتى هى السبب الخفى لتحول قلبها عنى ولكن اذا كان هذا هو السبب فما أوسع الشقة التى تفصلنى عنها الآن وقد تضاءلت ثروتها ، فهل من أجل رجل لم تعـــد تكن له أى حب تتقبل أن تتحمل كل عواقب الفقر الذى حل بها. وأنا هل أذهب لأتوسل اليها؟ وهل يمكننى ذلك ؟ وهل يجب على ذلك ؟ ان أباها سيزيد الحمل الثقيل عليها ، ومن غير المؤكد أن يرضى بزواجى من ابنته وقـــد يكون من المؤكد أننى اذا تزوجتهـــا سيكون ذلك سببا في خرابها — تأمل موقفى ودبرنى .

دورفـــال : هذا الشخص الذى يدعى أندريه قد بعث البلبلة في نفسى . . . آه لو كنت تعرف الأفكار التى جالت بخاطرى أثناء روايته . . هذا الشيخ . . . أحاديثه وطبعه . . وتغيير اسمه . . . ولكن لنترك هـــذا الشك الذى ينتابنى ولنفكر في مشكلتك .

كليرفيـــل : فكر يادورفال ان مصيرى بين يديك .

المنظر التاسع

دورفـــال وحـــده

دورفـــال : ياله من يوم ملئ بالمرارة والحيرة ، أشكال وألوان من العذاب ، ويبدو أن الظلمات تتكاثف حولى وتجلل هـــذا القلب المثقل بعديد من المشاعر المؤلمة ! . . . يا للسماء ! ألا تمنحينى لحظة أستريح فيها ! . . . انى أمقت الكذب والرياء ، وبعد قليل سأفرضهما على صديقى وعلى أختـــه وعلى روزالى . . ومـــاذا ستعتقد فيّ ؟ . . ومـــاذا أقرره بالنسبة لخطيبها ؟ . . وماذا أقرر بالنسبة لكنمستانس ؟ يادورفال هـــــل تستمر في التمسك بالفضيلة أم تتخلى عنها ؟ . . . ان حادثـــا غـــير منتظر قـــد أطـــاح بثروة روزالى وأصبحت فقـــيرة ، وأناثرى وأحبهـــا وهـــى تحبنى ، وعسير على كلير فيل نوالها ، أيتها الأوهام المخزية بارحى ذهنى وابتعدى عن قلبى ، يمكن أن أكون أتعس النـــاس ولكننى لن أجعل من نفسى أكثرهم دناءة ــ الفضيلة ! يالها من وازع يصدر عن اشفاق وقسوة معا ، سأؤدى فروضا لها جلالها ولها ضرواتها التى لاترحم ، أيتها الصداقة التى توثقنى وتمزقنى ، انى سوف أستجيب لك أيتها الفضيلة ، أىّ شئ أنت إذا لم يكن من المحتم عندك استقضاء تضحية مّا ، أيتها الصداقة . . أنت كلمة فارغة إذا لم يكن لك حقوق تفرضين رعايتها على الناس ، قرارى اذن ان يتزوج كليرفيل من روزالى (ويسقط على الكرسى

مضعضعا يكاد يغمى عليه ثم يقف ويقول) : لا ، لن أسلب من يد صديقى حبيبته ، لن أبلغ هذا الحد من السفالة ، وسيكون قلبي هو كفيلي ، وبالتعاسة من لايصغى الى صوت قلبه ، ولكن كليرفيل لاثروة له ، وروزالى أصبحت حالها كحالة ينبغى ازالة هـــذه العقبات ، وهذا ما أستطيعه ، وأريده ، هل هناك كرب لايفرجه اسعاف انسان كريم ؟ آه ! انى بدأت أتنفس الصعداء .

اذا لم أتزوج روزالى فما حاجتى الى الثروة ، وهل هناك انتفاع بثروتى أفضل من أن أهبها لشخصين عزيزين عندى ، واذا لم أخطئ التقدير فان هـــذه التضحية غير المألوفة لن تضيرنى ، بل ان كليرفيل سيدين لى بسعادته ، وروزالى ستدين لى بسعادتها ، وأبو روزالى سيدين لى بسعادتـــه ، وكنستانس ؟ سأصارحها بالحقيقة كلها ، ستعرف أى رجل انـــا وستأسى بقلب واجف على المرأة التى تخاطر بربط حياتها بحياتى ، وحين أرد الى الطمأنينة كل الذين يحيطون بى فسأظفر ولا ريب بالراحة التى تهرب منى ، (ويتنهـــد) لماذا اذن تتعذب يادورفال لماذا أنا ممزق القلب ،لم هذا الحزن ياقلبي ، أيتها الفضيلة ، ألم أفعل بعد كل ما ينبغى فعله من أجلك .

ولكن روزالى لن تقبل هذه الثروة ، وسيبلغ بها

ادراكها لثمن هذه النعمة انها تبخل بها على رجل هي تكرهه وتحتقره ولا ريب ، ينبغي اذن أن أخفي عنها تضحيتي ، واذا كان هذا هو قراري فكيف أنجح في تنفيذه — هل استبق وصول أبيها الينا وأنشر في الصحف ان المركب التي حملت ثروته كانت موءمنا عليها ، ثم أبعث اليها مع رجل تجهله قيمة ماضاع عليها . ولم لا ، هذه وسيلة لاتخرج عن المألوف ، وهي تروق لي ، ينبغي على أن أسرع (ينادي شارل) : شارل !(ثم يجلس على منضدة ويكتب) .

المنظر العاشر

دورفـــال وشـــارل

(دورفال يعطي لشارل وريقة ويقول له) : هيا الى باريس واحمل هذا الخطاب الى مصرفي .

يمكن تحويل المشهد [illegible] إلى دراما [illegible] تحدث دورفال مع شارل الخادم .

* * *

نبالة الفروسية و استبسال المقاتل لفضيلة وعدم لزنه

الفصل الرابع

المنظر الأول

روزالى ـ جوستين

جوستين : ها أنت قد ألتقيت باندريه كما كنت ترغبين ، وأبوك آت اليك ولكن ثروتك ضاعت منك .

روزالى : (وبيدها منديل) وماذا عساى أن أفعل ضد القدر ؟ ان أبي قد نجا بحياته واذا كان ضياع ثروته لم يؤثر على صحته فلن أهتم بشيء آخر .

جوستين : كيف ! أفلا يعود لك شيء تهتمين به ؟

روزالى : نعم يا جوستين ، سأعهد الفقر ، فهناك مصائب أكبر .

جوستين : حذار ، أنت تخطئين ، فلا مصيبة يضيق الانسان سريعا بحملها مثل الفقر .

روزالى : هل أكون أقل جدارة بالرثاء لو ملكت ثروه ! . . ان السعادة لاتسكن الا في قلب طاهر مطمئن — هكذا كان قلبي من قبل .

جوستين : وكان كليرفيل مستوليا عليها .

روزالى : (تجلس وهى تبكى) أى حبيبى الذى كنت أعزه غاية الاعزاز ، أى كليرفيل الذى أقدره وأسبب له

! انت الذى نزع منى كل حبي لك
ن جدارة منك ها أنت قد وجدت ثارك .
بكى ولا يأبه أحد لدموعى .

ما رأيك في دورفال هذا ؟ . . هذا الصديق الجم الحنان ، هذا الرجل الموثوق بصدقه كل الثقة ، هذا الانسان الحريص على الفضيلة أشد الحرص، ماهو الا شرير كالعهد ببقية الرجال ، انه يعبث بكل ماهو مقدس ، بالحب والصداقة . بالفضيلة والصدق ، كم أرثى لكنستانس ، انه خدعنى ومن الجائز أن يكون قد خدعها أيضا . (وتقف روزالى) ولكنى أسمع شخصا قادما .

جوستين : أواه ان كان هو !

جوستين : لا أحد قادم يا آنستى .

(وتجلس روزالى مرة ثانية وتقول)

روزالى : كم هم أشرار هؤلاء الرجال ! وكم نحن ساذجات — انظرى يا جوستين كيف نرى في قلوبهم الحق وبجانبه الباطل جنبا الى جنب ، وكيف يلتصق فيها النبل بالدناءة ! فهذا المدعو دورفال الذى يعرض حياته للموت لينقذ صديقه هو نفسه الذى يخونه ويخدع أخته ويتوجه بحبه لى ، ولكن لماذا ألومه على حبه لى ؟ انها جريمتى أما جريمته فهى الرياء الذى ليس له مثيل على الاطلاق .

المنظر الثانى

روزالى وكنستانس

روزالى : (وهى تهرع لاستقبال كنستانس) آه يا سيدتى ! في أية حالة أجدنى فيها وقد باغتنى قدومك .

كنستانس : لقد جئت لأشاركك همومك .

روزالى : لتكن السعادة من نصيبك على الدوام (وتجلس كنستانس وتجلس روزالى بجانبها وتأخذ يديها بين راحتيها وتقول) : انى لا أطلب شيئا الا السماح لى بأن أشاركك أحزانك . علمتنى الحياة أن لاضمان لدوام وأنت تعرفين كم أحبك .

روزالى : ان كل شيء قد تغير . كل شيء قد انهدم في لحظة واحدة .

كنستانس : ان كنستانس باقية لك . . . وكليرفيل .

روزالى : يحسن بى أن أبادر الى الرحيل عن هذه الاسرة التى عاشرتها حتى لاتكربها آلامى .

كنستانس : حذار يا بنيتى من أن يحملك البؤس على النزوع الى الظلم والقسوة ، ولكنى يجب ألا ألومك أنت على ذلك ــ لقد أنسانى الهناء الذى كنا نعيش فيه أن أدربك على نكبات الدهر والهتنى السعادة عن المبالاة بالتعساء والآن لقيت الجزاء الذى أستحقه ، وأنت التى دفعت به نحوى ــ ولكن أباك .

روزالى : لقد كنت السبب في سكبه الدمع الكثير . . ياسيدتى ستكونين أما يوما ما . . . كم أرثى لك ! . . .

اجري مسامرة آخر الشهر لترى جديتي

كنستانس : روزالى . تذكرى رغبة خالتك فان آخر كلمة لها كانت وصيتها ان ارعاك واسهر على سعادتك . لست أطلب منك وفاء بدين لى عليك ، بل دلالة على تقديرك لى ، واحكمى أنت كم يكون رفضك سيئا لى ، لاتفصمى حياتك عن حياتى ، انت تعرفين دورفال انه يخصك بوده ولسوف أطلب منه أبقاء روزالى تحت رعايتى وسأنال موافقته وتكون هذه الموافقة أول وأحلى دليل لى على حبه .

روزالى : (تسحب بشدة يديها من بين راحتى كنستانس وتقف بشىء من السخط) دورفال !

كنستانس : انه يكن لك كل تقدير .

روزالى : شخص غريب عنا ، شخص ليس لنا به من قبل معرفة ، رجل لم يخالطنا الا قليلا ، شخص لم يطرق سمعنا قط ذكر لأسماء أبويه ، ولعله لايصدق بل يتظاهر بأنه رجل فاضل أرجو المعذرة ياسيدتى . . لقد نسيت انك تعرفينه حق المعرفة ولاريب .

كنستانس : كيف لا أعذرك وأنت في ظلام حالك ، دعينى اذن أوافيك بشعاع من الامل .

روزالى : كنت من قبل محتفظه بالأمل ثم خدعت فخاب وضاع وهيهات أن أسترده (وتبتسم كنستانس بحزن) وأسفاه ، فلو بقيت كنستانس في وحدتها ، متوارية كما كانت فلربما قبلت البقاء معها ، وحتى لو حدث هذا أفلا يكون الدافع لنا نحن الاثنين وهم باطل

فيقال : صديقتنا قد وقعت في محنة ،ونخشى أن نقصر في الوفاء بحقها علينا فننساق لأول هزة من الشهامة ، ولكن يالفعل الزمن ، التعساء لهم أنفة ومسارعة الى الريبة وعجز عن الانسجام ، لا يألف المرء آلامهم الا قليلا ، ما أسرع أن ينقبض عنهم ، لتعرف كل منا أن تجنب الأخرى مغبة هذا الخطأ ، لقد فقدت كل شيء لننقذ على الأقل صداقتنا من الغرق وانى أعتقد انى مدينـــة للنكسة بشيء من الشكر . . فلقد كنت دائما تساندين روزالى بنصائحك ، فلم تقم الى اليوم بعمل يعود الفضل فيه اليها وحدها ، وقـــد آن لها أن تمتحن قدرتها بعـــد أن علمتها كنستانس وعلمتها الارزاء ، فهل تستكثرين عليها هذه النعمة الوحيدة التى بقيت لها ، نعمة أن تعرف نفسها بنفسها. XX

كنستانس : روزالى ان الحماس يملؤك فحذار من هذه الحالة فأول أثر للمصيبة على الإنسان هو أن تتيبس نفسه وآخر أثر هو أن تتحطم هذه النفس . . أأنت التى تخاف عليّ وعليها من فعل الزمن ، ألا تخافين منه على نفسك وحدك ؟ . . فكرى يا روزالى ان المحنة اذا نزلت بانسان كفلت له حرمته فاذا حدث لى أن قصرت في حق التعساء وازدريتهم بهم فنبهينى لذلك .واجعلينى أحمر خجلا لأول مرة . . يا بنيّ لقد عشت وتألمت واعتقد انى قد اكتسبت الحق في أن أثق ولو قليلا بنفسى . ولكنى لا أطلب منك الا أن تعتمدى على صداقتى كما تعتمدين على شجاعتك .

ألست ظالمة . . اذا كنت تنتظرين ان تفعلى كل شيء بنفسك ولا تنتظرين شيئا من كنستانس ، فهل تصور وقوفك موقف المعترف بالجميل هو الذى يخيفك؟ . . عودى اذن لحبك لأخى وسوف أدين أنا لك بكل شيء .

روزالى : يا سيدتى ها هو دورفال . . اسمحى لى أن أبتعد . . فلن يزيد بقائى من بهجة انتصاره .

(يدخل دورفال) .

كنستانس : روزالى . . احتجز هذه البنية يادورفال . . ولكنها تفلت منا . .

المنظر الثالث

كنستانس ودورفال

دورفال : لندع لها متعتها الحزينة بتجرع غصة الألم بلا رقيب .

كنستانس : في يدك أنت أن تبدل حكم القدر عليها ، فاليوم الذى تم فيه سعادتى يادورفال قد يكون بداية تنعمها بالراحة والسكينة .

دورفال : ياسيدتى اسمحى لى أن أتكلم بصراحة ، فان دورفال وهو يفضى اليك بمكنون نفسه يحاول أن يكون جديرا بأفضالك عليه ، وان يستحق منك — على الأقل — الرثاء له والتحسر عليه .

كنستانس : ماهذا يا دورفال ! تكلم بربك .

دورفال : سأتكلم لأن هذا واجب علىّ لك وواجب علىّ

لأخيك وواجب عليّ نحو نفسي ، انك تريدين سعادة دورفال وهل تعرفين دورفال حق المعرفة؟. . أن مبالغة شاب كريم المحتد في تقدير خدمات هينة أديتها له ، وحبورة حين تكشف له من الفضائـــل نذر يسير ويقظة احساسه ببعض المحن التي أصابتني كلّ هذا أحال الفروض الى احكام قاطعة تسللت اليك وتسلطت عليك ويقتضيني الصدق الآن أن أنقضها ، فان فطنة كليرفيل لاتزال في ميعة شبابها . أما كنستانس فينبغي أن يكون لها عني حكم آخر (ويتوقف قليلا ثم يقول) لقد خلق لي المولى قلبا سويا ، هبة منه ، ولم يجد على بهبة أخرى ، ولكن هذا القلب قد ذبل . . وأنا كما ترين . . تتسلط على الكآبة والحزن . . نعم اني متمسك بالفضيلة ولكن في تزمت ، وباستقامة الخلق ولكنها لاتخلو من شراسة ، ولي فؤاد من طبعه الحنان ولكن المرارة غلبت عليه لكثرة ما حاق به من المصائب ، ولا زلت قادرا على ذرف الدموع ولكنها نادرة ومفترسة لا ، ان رجلا هذه طبائعه غير جدير بأن يكون خير زوج لكنستانس .

كنستانس : اطمئن يادورفال فحين استسلم قلبي بفضل بوادر شعوره بفضائلك الى الايمان بها كنت أراك كمـــا وصفت نفسك لي ودأركت ابتلاءك بالمحن ووقعها الفظيع عليك فرثيت لك وربما ولد حبي لك من هذا المشاعر .

دورفـــال : لقد انتهت المحن بالنسبة لك لتلقى بثقلها على أكتافي



سوف أحذف ...

الفن هو استكمال للحياه والاصطفاء بالجميل.

. . كم أنا تعس ، وبالطول عهدى بالتعاسة، لم أكد أولد حتى وجدتنى منبوذا كأنما في خلاء تيه على حافة المجتمع ، وحين فتحت عيني لأتبين الصلات التي تربطني بالناس لم أجد منها الا الفتات ، ومضى على يا سيدتي ثلاثون عاما وأنا أهيم على وجهي بين الناس وحيدا مجهولا ، مهمـــلا ، لم أشعر بالحب لانسان ، وما وجدت انسانا يسعى للفوز بحبي ، وحين جاء أخوك الى بروح تتعطش لها روحي ، تدفق مني الى قلبه سيل من العواطف التي كانت تحاول منذ زمن طويل أن تجد لها منطلقا ولم أتصور أن أرى في حياتي لحظة أحلى من تلك التي تخلصت فيها من ملل الحياة وحدي . اما ثمن هذه اللحظة التي اكتملت فيها سعادتي فقد دفعته غاليا . . لو تعلمين .

كنستانس : لقد كنت تعسا ولكن لكل شيء نهاية وأعتقد انك جد قريب من اللحظة التي سيحدث فيها تغيير موفق طويل المدى .

دورفـــال : يكفيني ويكفى القدر ما سلف من طول امتحان أحدنا للآخر ، لم أعد أتلمس من يسعدني واني أكـــره معاشرة الناس ، اما من أخصه باعزازي منهم . فهم دون غيرهم من أفر منهم لكى تصفو لى الراحـــة والطمأنينة — وأدعو المولى أن يشملك بنعمائه التي حرمني منها وأن يجعل كنستانس أسعد النساء وسيصلني خبر توفيقك ربما وأنا في عزلتي فأسر له غاية السرور.

كنستانس : انك على خطأ يادورفال فلكى تشعر بالطمأنينة يجب

أن يكون قلبك راضيا عنك ، وكذلك الناس أيضا . انك لن تحصل على رضا الناس ولن تشعر برضا قلبك اذا تركت الموقع المحدد لك . ان لديك قدرات نادرة جدا يجب أن تقدمها للمجتمع ، وليبتعد عن المجتمع جمهور المخلوقات غير النافعة الذين يتحركون فيه دون هدف ، ويزحمونه ولا ينفعونه بشيء ولكن أنت — وأقولها جهارا — لا يمكنك الابتعاد عن المجتمع والا اعتبرت مجرما في حقه . وعلى المرأة التي تحبك أن توقفك لتعيش بين الناس . وعلى كنستانس بالذات أن تحفظ للفضيلة المظلومة من يساندها وللرذيلة المتعجرفة من يقضي عليها وأخا للناس الخيرين جميعا . وأبا لهذا العدد الكبير من التعساء ، أبا ينتظرون ظهوره وصديقا للجنس البشرى من أجل ألف مشروع أمين نافع عظيم . هذه النفس المجردة من التحيز وهذه الروح القوية التي يطالبون بوجودها هي روحك أنت أنت تترك المجتمع ! انى أستشهد بقلبك : إسأله أنت وسوف يقول لك ان الرجل الفاضل مكانه المجتمع ولا يعيش وحيدا الا الشرير [1] .

---

(١) كم هو بارع فى اتهام أصدقائه بالوقوع في أخطاء خيانه ، ومن خلق اعداء له ، هذا الذى اقتطع واختار هذه العبارة « لا أحد يعيش وحده الا الشرير » ليعلق عليها بنص طويل تتلاقى فيه قمة بلاغة بقمة انفعاله ، ونحن نحده من يريد أن يحكم حكما مستنيرا على الخصام الذى طال نشوبه بين جان جاك روسو وريدرو أن تقرأ هذا النداء المؤثر الذى تحاول كنستانس أن تحمل دورفال على البقاء بين الناس ثم يقرأ بعد ذلك ما كتبه روسو في هذا الصدد بدافع من حساسيته وانقباضه « الاعترافات Le Confessions » الفصل الثاني من الباب التاسع .

دورفـــال : ولكن التعاسة تلاحقني وتعم كل من يقترب مني — فهل القدر الذي يريد لي أن أعيش في جحيم يريد أيضاً أن أوقع فيه الآخرين . لقـــد كانت السعادة ترفرف على هذا المكان قبل حضوري اليه .

كنستانس : ان السماء » تتلبد أحيانا بسحب سود تظللنا ولكن هذه السحب كما تتجمع بغتة ستنقشع بغتـــة فينبغي للانسان الحكيم مهما حدث أن يبقى ثابتا في موقعه يترقب نهاية همومه .

دورفـــال : أفلا يكون هذا الانسان الحكيم مواجها بأن تبطئ عليه ياكنستانس لست مجانبا لهذا الميل الفطري الحلو الذي يجتبي كل المخلوقات ويسوقهم الى تخليد الجنس ، اني كنت أشعر في قرارة نفسي أن الكون كله لن يكون في نظري الا تيها موحشا ان هو خلا من رفيقة تقاسمني أفراحي وأتراحي وفي خلال أزمات الكآبة التي كانت تنتابني كنت أنادي على هذه الرفيقة .

كنستانس : ولقد أرسلتها لك السماء .

دورفـــال : متأخرة لسوء حظي ! لقد أفزعت السماء نفسا نقية لو جادت عليها بالقليل لأسعدها ، أفزعتها وملأتها بالمخاوف ، بالرعب ، بوجل خفي ، فهل يجرؤ دورفال عـــلى التكفل بسعادة امرأة ويصبح أبا ، ويكون له أبناء . . أبناء وحين أرى أننا منذ مولدنا يلقى بنـــا في خضم مختلط من المعتقدات المسبقـــة والاندفاعات المتهورة والرذائل فان بدني يرتجف :

كنستانس : ان الخيالات تتسلط على أفكارك ، ولا أعجب لذلك

فقصة الحياة لانعلم عنها الا القليل وقصة الموت جد مبهمة ، على حين أن مظاهر الشر في الكون واضحة كل الوضوح . ان أبناءك يادورفال لن يكونوا عرضة للوقوع في الهوة التي تخشاها . فلسوف يقضون السنوات الأولى من حياتهم تحت رعايتك . . وهذا يكفى ضمانا لاطمئنانك عليهم في السنوات التالية ستعلمهم كيف يفكرون مثلك وسيرثون عنك نزعاتك ومزاجك وأفكارك وما تتحلى به من ادراك سليم لمعنى النبل والخسة وصدق السعادة وانكشاف البؤس، سيتوقف عليك وحدك نشأة ضمير لهم يماثل ضميرك ، سيشهدونك فعالا لما تؤمن به أما نصيبي في تربيتهم فنصائح باللسان يسمعونها منى أحيانا ، (وتقول وهى تبتسم باعتداد) ستنشأ بناتك شريفات محتشمات وأبناؤك نبلاء لهم اعتداد بكرامتهم وكل أولادك آية في اللطف والظرف .

دورفـــال : (يمسك بيد كنستانس ويضغط عليها بين راحتيه ويبتسم لها بتأثر ويقول) :

وماذا لو كانت كنستانس واهمة مع الأسف ، وحق لى أن أخشى أن ينشأ لى كما يحدث الآباء عديدين غيرى — أبناء تعساء أشرار .

كنستانس : (في صوتها نبرة تستدر الشجن وملامحها تنم عن ايمانها بصدقها) أفكانت تساورك هذه الخشية لو أنك آمنت بأن تأثير الفضيلة على النفس ليس أقل لزوما ولا أقل قوة من تأثير الجمال على حواسنا ، وان الانسان

له بفطرته هوى للاستقامة أقدم من كل هوى يبرره له عقله ، وهذا الهوى هو الذى يجعلنا نحسب كل حساب للخجل ، الخجل الذى يجعلنا نرهب احتقار الناس لنا ونظل في رهبة منه حتى ونحن في قبورنا ، أفلا تؤمن بأن الاقتداء أصيل في طبع الانسان وأن لاقدرة أشد سحرا من الفضيلة ، فسحرها لاينفعه سحر آخر حتى ولا سحر الرذيلة ، آه يادورفال ماأكثر الوسائل التى نجعل بها الانسان انسانا خيّرا .

دورفـــال : نعم ، اذا عرفنا كيف نستخدم هذه الوسائل ، لا أمانع أن أعترف بأننا نستطيع حماية أبنائنا من الرذيلة اذا نحن أحطناهم على الدوام بعناية تساندها خصالهم الطيبة ، لكن هل هذا يقلل كثيرا من استحقاقهم لرثائنا ، وكيف نصونهم من المخاوف والمعتقدات المسبقة التى تتلقفهم عند مولدهم ثم تلاحقهم حتى مماتهم ، ان حماقة الانسان وبؤسه يثيران الهلع في نفسى ، وما أكثر الآراء الباطلة في دنياه ، تارة يكون هو الطالع بها وتارة يكون هو ضحيتها ، آه ياكنستانس ، من ذا الذى لايجفل من الإقدام على زيادة عدد هؤلاء المساكين الشائع تشبيههم بالمحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ممن نشهدهم في سجن كريه ، في قدرتهم لو شاؤوا أن يعين أحدهم الآخر ولكنهم يتقاتلون بشراسة وسلاحهم هو سلاسل القيود التى تطبق على أيديهم [1] .

---

(١) فولتير ــ قصيدة من قوانين الطبيعة ــ القسم الثالث .

كنستانس : انى أدرك الاضرار الناجمة عن التعصب ، سواء تلك التى عهدناها له فيما مضى وتلك التى ينبغى أن نظل نترقبها بتوجس ، ولكن لنفرض أن قدطلع بيننا طاغية متوحش يعيد سيرة مثيل له في عصور الظلمات ، واندفع بلوثته وأوهامه الى اغراق الأرض في الدماء ورأينا هــذا الطاغيــة المتوحش يتهادى لارتكاب أبشع الجرائم ، داعيا ربه أن يمده بعون من عنده ، فهو يمسك في يد بكتاب الله . وفي يــد بخنجر ، ويدبــر للشعوب نكبات عديــدة ، فثق يادورفال أن هذا المشهد سيثير من العجب والاستغراب قدر ما يثيره من المقت والاستبشاع ، وربما كان بيننا اجلاف لهم قسوة الوحوش ، فمتى تخلو الأرض منهم ،ولكن عهدهم قد ولى وانقضى فنحن في عصر الاستنارة وانقشاع الضلالة عن العقول ، ان حكمة هذا العصر تتضمنها وتزخر بهــا مؤلفات قومنا ،والمؤلفات التى تلهم التوادّ والتعاطف تكاد تكون هى وحدها التى تجد من يقرأها ، هذه هى التعاليم التى لها دوى في مسارحنا لايشبع منه ويطلب له المزيد . وهذا الفيلسوف الذى ذكرتنى بشعره انما يرجع الفضل في تألق نجمه الى العواطف الانسانية التى يشيعها في قصيده والى استحواذ هذه العواطف على قلوبنا ، كــلا يادورفال ، ان شعبنا لاينفك يحنو على شقاء المتمسكين بالفضيلة لايحق وصفه بأنه عات منقبض ، أما أنت وأمثالك ممن تخصهم الأمة بالتكريم ويحق لهم اليوم أكثر من أى وقت آخر أن

تحوطهم الدولة بحمايتها فأنتم الذين سيحررون أبناءك من تلك الأغلال الثقيلة التى توهمك كآبتك انها مطبقة على أيديهم ، وماذا يبقى لى ولك من واجب سوى أن نعودهم أن لايعجبوا — حتى بالنسبة لخالق الكون كلـــه — الا بتلك الخصال التى يكمن فيها سر اكبارهم واعزازهم لنا ، وتضرب لهم الأمثال على أن سنن الانسانية ثابتة لاتتبدل ، وهيهات ان يبطل لزومها ، وسوف نرى بذرة هذا الادراك بأن الخير هو القانون الكونى الذى يشمل الخليقة كلهـــا قد نبتت في قلوبهم ، وقد قلت لى مرارا إن الإنسان الذى يفيض قلبه بالعطف والحنان لايتمثل له أن عالم النفوس الرقيقة قد وجد نظامه الا اذا كان هو نفسه داعيا لها بالسعادة أحر الدعاء ومعينا لها على بلوغها ومشاركا لها فيها . انى لا أخشى أن ينشأ في أحشائى ومن عصارة دمك مخلوق مجبول على القسوة .

دورفـــال : ان انشاء الاسرة يتطلب ثروة كبيرة ولا أخفى عليك أن ثروتى قد نقصت الى النصف .

كنستانس : ان مطالبها اللازمة لها حقا قليلة ، أما مطالب الكماليات فلا حد لها ، ومهما جمعت من ثروة يادورفال فان أبناءك اذا تجردوا من الفضيلة سيعيشون دائما فقراء.

دورفـــال : الفضيلة ، الفضيلة ، ما أكثر الكلام عنها .

كونستانس : لاشئ في الدنيا معلوم ومبجل مثلها ، ونحــــن نتعلق بالفضيلة لما نتوسم من محاسنها ، ولكــن الذى يزيد من تعلقنا بها هو التضحيات التى نبذلها

من أجلها ، ويالتعاسة من لم يمض في التضحية من أجلها إلى الحد الذى يثبت به أنها أفضل شئ عنده ، فلا يعيش ولا تتردد أنفاسه إلا من أجلها ، فهـو ينتشئ بعطرها الزكى ويقضى أواخر أيامه وهو سعيد بهذه النشوة .

دورفـال : يا لها من امرأة ! (وتظهر عليه الدهشة فيلـزم الصمت لحظة ثم يقول) : أنت صارمة وجديرة بالإعجاب ، أنت

ماذا أبقيت منى ، أنت تجبريننى أن أفشى لك سر مولدى ، فاعلمى اذن أنى ماتمليت من أبى الا قليلا ، أكاد لا أعرفه ان فتاة تعيسة ، مفرطة في الحنان ، مفرطة في الرقة ، جاءت بى الى الدنيا ثم ماتت بعد ذلك بقليل ، وكان أبواها — وهما من أصحاب النفوذ — قد حملهما الغضب من أبى على إجباره على الرحيل الى الجزر النائية ، وحين تراءى لـه وهو هناك ، انه ملك الأمل بأن يكون زوجها الشرعى ، اذا بنعى أمى يبلغه ، فلما ضاع هذا الأمل قرر البقاء في مهجره ، ولكنه لم ينس الابن الذى ولدته لـه الفتاة التى أحبها . هذا الابن هو أنا ياكنستانس وقد زار أبى فرنسا مرات عديدة فكنت أراه فيها وأفارقه على أمل أن أراه من جديد ، وقد فقدت هذا الامل الآن ، فأنت ترين كيف كان مولدى مهينا لى في نظر الناس وكيف ضاعت الآن ثروتى .

كنستانس : المولد عطية تقسم لنا ، أما الفضائل فنملكها بسعينا ،

أما مختلف النعم وهى دائما حمل مربك ، وفي أغلب الأحيان مصدر للاخطار فان السماء وهي تنثرها على الأرض كيفما كان ، وتجود بها بلا تمييز بين الطيبين والأشرار هي التي تملى أيضا كيف ينبغى أن يكون حكمها بين الناس ، فشرف النسب وعلو المقام والثراء والمجد نعم قد يحظى الشرير بها كلها ولكن هيهات له أن يحظى برضاء مولاه ، هذا هو الحق الذى عرفته بعد قليل من التبصر من قبل انكشاف أسرارك لى بزمن طويل ، لم يبق لى الا أن أعرف متى تتحقق سعادتى على يديك ويشرق نجمى .

دورفـــال : ان روزالى تعيسة وكليرفيل في يأس شديد .

كنستانس : يخجلى أنك نبهتنى لهما . اذهب يادورفال الى أخى وسأعود أنا الى روزالى فمن واجبنا نحن أن نقرب بينهما فهما جديران بالارتباط معا فاذا نجح مسعانا فلن يقف حائل دون تحقيق آمالنا .

المنظر الرابع

دورفـــال وحـــده

هاهى المرأة التى تربت روزالى على يديها ! وها هى المبادئ التى لقنتها اياها .

المنظر الخامس

دورفـــال وكليرفيـــل

كليرفيـــل : ماذا حدث لى يا دورفال وماذا قررت بشأنى ؟

دورفـــال : أعتقد أنه يجب أن نتمسك أكثر من أى وقت مضى بروزالى .

كليرفيـــل : هل تنصحنى بذلك ؟

دورفـــال : نعم أنصحك .

كليرفيـــل : (وهو يعانقه) : آه ياصديقى ! انك تعيد لى الحياة فأنا مدين لك بها مرتين في هذا اليوم ، وقد أقبلت وأنا في شدة القلق على مصيرى ، ولم أنفك أعانى من الألم منذ تركتك ، لم أكن قط من قبل على مثل هذا اليقين بأنه مقدر علىّ أن أحبها رغم أنها ظالمة ، ففى وقت اليأس يتخذ المرء قرارا عنيفا ثم تفوت لحظته فاذا القرار يتلاشى والهوى باق .

دورفـــال : (وهو يبتسم) كنت أعرف كل ذلك ، ولكن ما العمل وثروتك محدودة ؟ وثروتها هى ضئيلة .

كليرفيـــل : ان أتعس ضنك في نظـــرى أن أعيش محرومـــا من روزالى ، واذا كان في الطاقة حمل الفقر على مضض فالاولى أن يطيقه المحب ورب الاسرة وكل من وهب طيبة القلب ، وهناك وسائل عديدة للانفكاك من الفقر .

دورفـــال : وماذا ستفعل ؟

كليرفيـــل : سوف أتاجر .

دورفـــال : وهل تواتيك الشجاعة على احتراف التجارة ولك اسم كالذى تحملـــه !

كليرفيـــل : ماهى الشجاعة التى تقصدها ، انى لا أرى لها دخلا ، حقا انى أستبعد كل الاستبعاد ولى نفس أبية وخلق صلب متين أن يتوفر لى من أفضال الناس ما يعيننى على تملك الثروة التى أنا في حاجة اليها ، فان الثروة التى نلتمسها بالدسائس تأتى بخطى سريعـــة ولكنها دنيئة ، والتى نلتمسها بامتشاق السيف في خدمة الوطن هى ثروة مجيـــدة ولكنها تأتى بخطى وئيدة ، والتى نلتمسها بفضل المواهب فالعهد بها دائما أن تكون ثروة هينة وعسيرة المنال ، وهناك وسائل أخـــرى تؤدى سريعا الى الثروة،ولكن التجارة تكاد تكون الوسيلة الوحيدة الى ثروة تزداد بقدر ازدياد مايبذل لها من عمل وقدرة ومواجهة المخاطر،وهى التى تجعل تجعل هذه الثروة حلالا فسوف أتاجر كما قلت لك ولا ينقصنى سوى أن أعان على فهم أسرار التجارة ومداخلها وأرجو أن أجد هذا العون عندك .

دورفـــال : ان تفكيرك صحيح وقد تبين لى منه أن الحب لايتأثر بمعتقدات جامدة ولكن ليكن ذهنك منصرفا كله الى استمالة روزالى اليك ولن تكون في حاجة لأن تبدل مسلكك في طلب الرزق من حال الى حال . فاذا كانت المركب التى تحمل ثروتها قد أسرهـــا الاعداء فانها مؤمن عليها ، فليس هناك خسارة ، والخبر منشور في الصحف العامة وأنصحك بـــــأن تنقله الى روزالى .

كليرفيـــل : انى مسرع اليها .

المنظر السادس

دورفال وشارل وهو مازال مرتديا حذاءهالطويل

دورفـــال : (وهو ينقل خطاه) لن ينجح في استمالتها اليه ،وهل يبقى لذلك سبب اذا ما أردت أنا نجاحه وعملت له، بأن أضرب ى المثل على الأمانة والشجاعة ، وان أبذل جهدى آخر مرة لكى أغلب نفسى ولكى تغلب هى نفسها .

(يدخل شارل ويبقى واقفا دون أن ينطق ببنت شفة حتى يراه سيده فيقول حينئذ) : ياسيدى لقد أوصلت الرسالة لروزالى .

دورفـــال : حسنا .

شـــارل : وهاهو الدليل (ويعطى لسيده الايصال الذى وقعته روزالى) .

دورفـــال : هــذا يكفى (ويخــرج شارل — ومازال دورفال يتمشى على المسرح ثم يتوقف وقفة قصيرة ويقول :

المنظر السابع

دورفال وحده

دورفـــال : سأكون اذن قد ضحيت بكـــل شيء : الثروة ! ويكرر كلمة الثروة باشمئزاز ، ضحيت بالحب بالحرية ، . . ولكن هل قرارى بأن أضحى بحريتى لا رجعة فيه ، ياندداء الحكمة والعقل ، من القادر على مقاومتك اذا نطقت لى بصوت امرأة وكانت

لك نبراته الساحرة ، وأنت أيها الرجل الغبي الضئيل أبلغت بك السذاجة أن تتصور أن أخطاءك ومصائبك مما تأبه له الدنيا ، وأن مفاجئات لانهاية لها من القدر قد تضافرت ودأبت على خلق أسباب تعاستك ؟ ان ارتباطك بانسان هو الذى يرسم له مصيره ، هيــا اصغ لكلام كنستانس وتدرك أن أراءك محض غرور ، اهرب لو استطعت أن أجد في نفسى معينا من قوة العقل وتفوق الادراك كالذى أتاح لهذه المرأة أن تستولى على نفسى وتخضعها لها اذن لأقدمت على مناشدة روزالى بأن ترضى على كليرفيل فتطيعنى ويصبح كليرفيل سعيدا ، ولم لا يكون لى على هذه النفس الرقيقة اللينة . . انى انا الذى ضللت خطواتها البريئة ،أنا الذى تسببت في حزنها العميق وفي انهيار قواها ، وعلىّ أنا كذلك أن أمد لها يــدى وأقودها الى طريق السعادة .



الفصل الخامس

المنظر الأول

روزالـــــى ـ وجوستـــــين

(روزالى حزينة تتمشى تارة وتتوقف تارة أخرى دون أن تنتبه الى ما تقوله لها جوستين) .

جوستين : لقد نجا أبوك من الأخطار وعادت اليك ثروتك وأصبحت تتحكمين في مصيرك ولن يضيرك شيء حقا يا آنستى ، أنت غير مستحقة للنعمة التى هبطت عليك .

روزالـــى : يجمع بينهما رباط أبدى ! ياجوستين ! هل أعرف أندريه ؟ هل رحل ؟
هل سيعود ؟

جوستين : وماذا أنت فاعلة ياآنستى ؟

وزالـــى : أريد ، أريد أن لايدخل أبى هذا المنزل المشئوم وأن لا أشهد ابتهاجهما ، وأن أتحرر على الاقل من هذه الصداقات التى تقتلنى .

المنظر الثانى

روزالى ـ وجوستين ـ وكليرفيل

كليرفيـــل : (يدخل مسرعا ويقترب من روزالى ويرتمى على قدميها وهو يقول) : أواه ! يالقسوتك . خذى منى

حياتى ! انى أعلم كل شىء ، لقد حكى لى أندريه كل شىء . انك تبعدين أباك عن هذا المكان ولكن عمن تبعدينه ؟ عن رجل يحبك حتى العبادة ، كان سيترك دون أسف بلده وأسرته وأصدقاءه ليعبر البحار حتى يصل ويرتمى على أقدام أهلك العنيدين ليفوز بك أو يموت وكانت روزالى الحنون الرقيقة الوفية تشاركنى همومى ثم أصبحت اليوم هى التى تحسبها على .

روزالــى : (وقد بدا عليها التأثر وقليل من الارتباك) : ان أندريه هذا لغير حريص فلم أكن أود أن تعرف ما قررته .

كليرفيــل : كنت تريدين الغدر بى .

روزالــى : (بلهفة) لم أغدر بأحد قط .

كليرفيــل : خبرينى اذن لماذا أصبحت لاتحبينى انك بصدك عنى تحكمين على بالموت انك تريدين هلاكى . نعم أنت تريدين ذلك . وهذا مايتبين لى .

روزالــى : لا ياكليرفيل . ولكنى أود من قلبى أن تكون سعيدا .

كليرفيــل : كيف وأنت تتخلين عنى ؟

روزالــى : ألا يمكنك أن تكون سعيدا بدونى ؟

كلير فيــل : انك تجرحين قلبى (وهو مازال راكعا أمام روزالى وعندما يلقى هذه الكلمات تسقط رأسه على قدميها ويبقى صامتا برهة من الزمن) كان ينبغى لك الثبات على الوفاء ، لاتتحولين عنه أبدا ، فقد أقسمت لى عليه

عليـــه ، وكنت سادرا في أوهامى فصدقتك ، آه يا روزالى .

أين هـــذه المواثيق التى تبادلناها كل يوم بطرب متجدد ، فما الـــذى جرى لوفائك وأين هى الآن مواثيقك ، ان قلبي المجبول على أن يتلقى ويصون الى الأبد عطايا فضائلك ولطف شمائلك لم يفقد شيئا من عواطفه نحوك . على حين لم يبق شيء من عواطفك نحوى ، فما الذى جنيته حتى أجدها قد انهارت .

روزالـــى : لاجناية لك .

كلير فيل : لماذا اذن لم أعد أعهد هذه العواطف ولا تلك اللحظات الحلوة التى كنت خلالها أطالع في عينيك مقـــدار حبي لك ، حين كانت يداك . . (ويأخذ احدى يديها في يده) تتكرمان بمسح دموعى ، دموع هى أحيانا مريرة وأحيانا حلوة تذرفها عيناى تارة من شدة هواجسى وتارة من فرط حنانى لك ، أناشدك يا روزالى ان لاتلقى بى في وهـــدة اليأس منك ، اشفاقا عليك أنت وعلى قلبك ، نعم أنت بقلبك غير بصيرة ، لاتعلمين مقدار العذاب الذى تعدينه بنفسك لنفسك .

روزالـــى : لقد سبق أن تعذبت كثيرا .

كلير فيـــل : ستخلف لى في أعماق نفسك صورة مريعة تجلب دائما لك الاضطراب والألم ، فان جريرة ظلمك ستلاحقك أبدا .

روزالـــى : لاترعبنى ياكليرفيل « وهى تثبت عليه نظراتها » : ماذا تنتظر منى ؟

كليرفيـــل : أن أخضعك لى أو أموت .

روزالـــى : (بعد فترة صمت قصيرة) :أليس دورفال صديقك؟

كليرفيـــل : انه يعرف أحزانى ويشاركنى حملها .

روزالى : انه يخونك .

كليرفيـــل : كنت سأهلك من جراء قسوتك وكانت نصائحه هى التى صانتنى ولولا دورفال لاصبحت معدودا بين الأموات .

روزالـــى : أقول لك انه يخونك « انه شرير » .

كليرفيـــل : دورفال شرير ! كيف يدور هذا بخلدك ، لى في هذه الدنيا اثنان أسكنهما شغاف قلبى وتجريحهما في هذا الحى يقتلنى من شدة الألم دورفال شرير ، وروزانى هى التى تقول ذلك ! هى بذاتها . . لم يبق لكى تجهز على الا أن تتهم صديقى بالخيانة (ويدخل دورفال) .

المنظر الثالث

روزالى ــ وجوستين ــ وكليرفيل ــ ودورفال

كليرفيـــل : تعال يا صديقى تعال ، ان روزالى هذه التى كانت بالأمس مثالا للرقة وأصبحت اليوم مثـــالا للقسوة تتهمك بلا مبرر وتستوجب لى يأسا لاينقصى أنا الذى كان الموت عندى أفضل من أن يلحقها بسببى ألم مهما خف (بعد أن يفرغ من كلامه يستر دموعـــه

ويبتعد فيجلس على أريكة في نهاية القاعة ، حاله حال رجل يائس) .

دورفـــال : يشير الى كليرفيل ويسترعى اليه نظر روزالى (تأملى يا آنستى عُقبى فعلك وفعلى ، أهذا هو المصير الذى كان ينبغى له أن يتوقعه على أيدينا وهل يكون البؤس الكئيب أذن هو الثمرة التى يجنيها من صداقتى له ومن رضائك عليه ، أفنتركه يخطو نحو الهلاك هكذا ، (ويقوم كليرفيل وينصرف ، حاله حال رجل ضل سبيلـــه)

(وروزالى تتبعه بأنظارها . . ودو فال يستمر في الحديث بصوت خافت وبعد أن يكون قد سرح قليلا ودون أن ينظر الى روزالى .

اذا حزن فانه على الأقل لايتكتم حزنه فان نفسه من فرط أمانتها تقوى على الجهر بآلامها ، اما نحن فلأننا في خجل من مشاعرنا لانجسر أن نكاشف بهاانسانا ، وتكتمها في قلوبنا ، قد يسفر سرور دورفال وروزالى لنجاتهما من التهمة ولكن لعلهما من الخســة بحيث يهللان لهذه التهمة في سرهما (وهنا يلتفت دورفال فجأة ناحية روزالى (آه يا آنستى هل خلقنا لنتحمل مثل كل هذه الاهانات ؟ . . وهل نود أن تمتد لنا حياةمثل هذه الدناءة والخسة ، بالنسبة لى فانى لايمكننى أن أطيق أن أحيا بين الناس اذا وجد في الارض التى يعيشون عليها مكان واحد استحق فيه أن يحتقرنى اخوانى فلقد نجوت من الخطر وأقبلت اليك لانجادك ،

وينبغي لى أن أعيدك الى المكانة التي سبق لى أن وهبتها لك ، والا فانى سأهالـك ، من فرط الأسى . . (ويتوقف قليلا ثم يقول) : اسمعيني جوابك ، هل للفضيلة قيمة يعتد بها وهل مازلت متعلقة بها عن حب لهـا .

روزالـى : انها عندى أغلى من حياتى .

دورفـال : اذن سأحدثك عن الوسيلة الوحيدة التي تستطيعين بها عقـد صلح بينك وبين نفسك وأن تكونى جديرة بالحياة في المجتمع الذى تعيشين فيه وأن تعتبرى نفسك تلميذة وصديقة لكنستانس وأن تكونى موضع احترام وحب كليرفيل .

روزالـى : تكلم فانى منصتة اليك .

(روزالى تستند الى ظهر مقعد ورأسها معتمد على يدها ويستمر دورفال في الكلام) .

دورفـال : أفلا ترين يا آنستى أننا لو اضمرنا خاطرا سيئا وظل يرافقنا فانه يكفى وحـده لتدمير سعادتنا ، وأن إدراكنا لقبح أفعالنا هو أدهى من كل الخواطر السيئة ، فنحن إذا مددنا يدنا لمصافحة الشر نجده يقبض علينا ويأسرنا ولايتخلى عنا أبدا ، ويكمن في قرارة نفوسنا في رفقة من الخجل والندم سنحمله معنا أينما سرنا ، فلا ينقطع تعذيبه لنا ، واذا كان لك انسياق وراء نزعة تجافي العدل والصواب فينبغى لك تجنب بعض النظرات طول عمرك ، وهذه النظرات هى نظرات الشخصين اللذين نكن لهما من الاحترام مالانكنه لأحد مـن

الناس ، ينبغي الآن الابتعاد عنهما والفرار منهما ثم نمشي في دروب الحياة برأس منكسة . (تتنهد روزالي) . . وبعد فراق كليرفيل وكنستانس فالى أين نذهب ، ماذا يكون مآلنا ، وما هو المجتمع الذى سنخالطه ، اننا اذا اخترنا الشر فمعنى هذا أننا حكمنا على أنفسنا أن نعيش مع الأشرار ونستطيب حياتنا معهم ، واننا نتقبل الاندماج في قطيع من الناس لامبدأ لهم ولا خلق ولافضيلة ، نعيش في جو من الكذب الذى لاينقطع ، معيشة مضطربة لايوثق بها ، ونرانا وحمرة الخجل تكسو وجوهنا نمتدح الفضيلة التى أدرنا لها ظهورنا ونسمع من أفواه الناس تنديدا بافعال مثل أفعالنا ، نحاول أن نظفر بالهدوء والراحة وسط أوضاع يكفى أن ينفخ فيها انسان خير حتى تتعرض ، ويسد الى الابد أمام وجوهنا كل باب تنفذ منه المباهج الصادقة التى تنفرد من دون بقية المباهج بأنها متسمة بالشرف والعلياء والجلال ، ولانجد وسيلة للهرب من نفوسنا الا بأن نرمى بها في أحضان الملل من كل هذه الملاهى الطائشة المبتذلة وتقضى أيامها في نسيان لأنفسنافتتسرب الحياة من بين أصابعنا وتتبدد ، انك كنت ياروزالى على وشك اهدار أغلى نعمة في الارض يتأتى للمرأة أن تنالها ، نعمة ينبغى للمرأة أن لا ينقطع لها تضرع الى السماء بأن تجود بها عليها نعمة زواجها برجل فاضل ، انك كنت عن ظلم ستضيعين عليك أعظم يوم مشهود في حياتك ،

وتقضين على نفسك بأن لايبقى لها مفر من الاحمرار خجلا كلما تذكرت لحظة ينبغى أن لاتـــذكر الا بغبطة وارتياح تصورى وقفتنا في الهيكل المقدس وأنت تتلقين منى القسم على الوفاء لك ، ولايشفى غليلى الا أن أسمع من فمك قسمك على الوفاء لى وانظرى كيف أن ذكرى كليرفيل المخدوع البائس كانت منذ تلك اللحظة ستظل تلاحقنا وكيف كنت سترين نظرة كنستانس القاسية عالقة بك ، همـــا الشاهدان الحاضران زواجنا ولكن ياهما من شاهدين نجفل منهما ، سنقول نعم اذا سئلنا في الهيكل المقدس هل يقبل أحدنا الآخر زوجا له ، كلمة نعم هذه كلمة ما أحلاها نطقا وسماعا حين تؤكد وتم سعادة قلبين يضفى فيهما الطهر والاستقامة طابع القداسة على هواهما المتبادل ، ان هذه الكلمة الحاسمة لــو نطقنا بها لخلّدت الى الأبد ظلمنا وتعاستنا ، نعم الى الأبد يا آنستى ، ان النشوة تمضى فاذا بكل منا يرى نفسه عـــلى حقيقتها ويحتقرها ويكيل لها التهم ثم نستهل حياة ملؤها التعاسة (هنا تفلت بعض الدموع من عينى روزالى فتمسحها خلسة (حقا كيف الوثوق بامرأة اذا ماهى قدرت على خيانة حبيبها ، أوبرجل اذا ماهو قدر على خيانة صديقه، ينبغى يا آنستى لمن يجرؤ على الارتباط بوثاق لافكاك منه أن يرى في شريكته أفضل النساء ، أما روزالى فلن ترى فيّ بالرغم منها الا أسوأ الرجال ، وهذا ما ينبغى اذن أن لا يحدث ، فهيهات لو حدث . . انى أقي لأم أبنائى

بحقها من الاحترام وأن القى منها كامل حقى من التقدير .

أراك تحمرين خجلا وتخفضين بصرك ، مابالك ، هل جرح شعورك مابدا لك من أن لى في الدنيا شيئا هو عندى أسمى قداسة منك أفتودين أن ترينى أعيش من جديد ساعات مهينة قاسية كالتى عهدتها حين كنت تحتقريننى ولا ريب وكنت أكره نفسى ، حين كنت أخشى لقـاءك وتحذرين أنت سماع صوتى ، وحين كانت نفسك ونفسى تتمزقان ونحن نتأرجح بين الرذيلة والفضيلة كم كنا تعساء يا آنستى ولكن تعاستى انتهت في عين اللحظة التى بدأت فيها أكـون عادلا ، وكان لى على نفسى انتصار هو أعسر الانتصارات منالا ، ولكنه كان انتصارا كاملا انى استرجعت خلقى ولم أعـد اهيب روزالى ، وأستطيع الآن بلا خشية أن أعترف لها بما أحدثته في نفسى من زلزلـة ، حينما وجدتنى وأنـا أعانى بسببها من تخبط العقل والقلب مالم يعهده انسان من قبل قد انزلقت فاذا بحادث غير متوقع وهفوة من كنستانس وهفوة منك تعاونت واحتشاد ارادتى على انقاذى ، فأنا الآن طليق . . (تتضعضع روزالى عند سماعها هذا الكلام ويلاحظ دورفال حالها فيواجهها وينظر اليها بشىء من الحنان (أفعلت شيئا لاتستطيع روزالى أن تفعله بجهد أيسر ، ان لها بفطرتها قلبـا حساسا وعقلا هاديا ولسانا لاينطق الا بالكلمـة

الصادقة الشريفة ، ولو أني قد صبرت قليلا لسمعت من روزالى قبل أن أتكلم عين ماسمعته هـــى منى الآن ، اذن لمنحتها اذنى وبدت لعينى ملكا كريما يمد يده الى ويسدد خطاى المتعثرة فإذا سمعت صوتها تألق ضياء الفضيلة في قلبي من جديد .

روزالـــى : (بصوت متهدج) دورفال .

دورفـــال : (وقد غلبته مشاعره الانسانية) روزالى . . .

روزالـــى : ماذا ينبغى لى أن أفعله ؟

دورفـــال : احترام النفس لدينا جعلناه نحن الاثنين فدية له عندنا .

روزالـــى : أفتريد أن ترانى بائسة .

دورفـــال : كلا ولكن تمر بنا ظروف لاينجدنا فيها الا فعـــل حاسم جبار .

روزالـــى : فهمت عنك ، أنت صديقى ، نعـــم ، ستواتينى الشجاعة أن أفعل ذلك أيضا لى الآن لهفة على لقاء كنستانس ، انى أدرك أخيرا أين تنتظرنى السعادة .

دورفـــال : أى روزالى ، ها أنذا أراك الآن على حقيقتك عندى ، ولكن أكثر في عينى جمالا واستدرارا للحنان من كل وقت مضى ، ها أنت ذى جديرة بصداقـــة كنستانس وحب كليرفيل واذا قلت أنا انك جديرة أيضا بكل تقديرى فلانني لا أحجم معك الآن عن الإشارة إلى نفسى .

المنظر الرابع

روزالى ، وجوستين ، ودورفال ، وكنستانس

روزالــى : (وهى تسرع لاستقبال كنستانس) :
هيا يا كنستانس تعالى لتقدم لك تلميذتك الرجل الوحيد الجدير بك .

كنستانس : وأنت يا آنسة اسرعى الى تقبيل أبيك . هيا ، هـا هو ذا قادم نحونا .

المنظر الخامس

روزالى وجوستين ودورفال وكنستانس وليزيموند
الشيخ الهرم يسنده من ابطه كليرفيل وأندريه وشارل
وسيلفستر وكل من في المنزل

روزالــى : أبـــى !

دورفـــال : يا الهى ! ماذا أرى ؟ انه ليزيموند ! انه أبى !

ليزيمونـــد : نعم يا بنى : نعم انه أنا (ويوجه كلامه لدورفال ولروزالى) اقتربا ياولدى لأقبلكما . . أواه ! ابنتى ! أواه ! ابنى ! (وينظر اليهما) يكفينى أنى رأيتهما بعينى . . (دورفال وروزالى ينظران مشدوهـين ويراهما ليزيموند على هذه الحالة فيقول) : يابنى — هاهى ذى أختك . . يابنيتى هاهو ذا أخوك .

روزالــى : أخى !
دورفـــال : أختى !
روزالــى : دورفال !
دورفـــال : روزالى !

(وينطقان بهذه الكلمات بسرعة من أخذا على غرة وفي وقت واحد تقريبا)

ليزيمونــد : (وهو جالس) : نعم ياولدى — انكما ستعرفان كل شيء ... اقتربا لأقبلكما مرة ثانية . (ويرفع يديه الى السماء) . . لتباركما السماء التى ردتنى اليكمـا وردتكما الى . . لتبـاركنا جميعا — (ويوجـه كلامه لكليرفيل) كليرفيل ! (ثم لكنستانس) سيدتى ! معذرة لوالد وجد أولاده ثانية انى كنت أعتقد أنى فقدتهما وقلت لنفسى مرارا لن أراهما أبدا . . . ولن يريانى أبدا . وربما وا أسفاه لـن يتعرف كل منهما على الآخر أبدا ! وعندما رحلت يا روزالى كان أحلى أمل يراودنى هو أن أقدم لك أخا جديرا بأبوتى ، أخا جديرا بكل حبك وحنانك يمكنه أن يكون سندا لك عندما أغيب أنا . . كما هو متوقع يابنيتى عما قريب . . ولكن لماذا ياولدى لا أرى بعد على وجهيكما مظاهر الفرح التى كنت أمنى نفسى بها . . ان سنى وشيخوختى يثيران القلق فى نفسيكما . . آه ! ياولدى كم عملت . . كم تألمت ! دورفال ! وروزالى ! (ويمد الشيخ ذراعيه — وهو يقول هذا — نحو ولديه وينظر الى كل منهما بالتناوب ويدعوهما الى أن يتعرف كل منهما على الآخـر . ودورفال وروزالى يتبادلان النظر ثـم يتعانقان ويذهبان ليقبلا قدمى أبيهما وهما يصيحان) :

دورفال وروزالى : أواه ! أبى !

ليزيموند : (وهو يضع يديه على رأسيهما ليباركهما ويرفع عينيه الى السماء ويقول) : يا الهي ! انى أشكرك ! فقد رأى ولداى كل منهما الآخر وأرجو أن يتحابا. وسأموت سعيدا . . كليرفيل انك كنت تعز روزالى روزالى انك كنت تحبين كليرفيل — انك مازلت تحبينه : اقتربا لأجمع بينكما (كليرفيل لايجروٴ على الاقتراب كما طلب ليزيموند ولكنه يكتفى بأن يمد ذراعيه لروزالى بحركة تنم عما في نفسه من رغبة وهوى وينتظر — وروزالى تنظر اليه لحظة وتتقدم نحوه فيسرع كليرفيل اليها ويجمع ليزيموند بينهما).

روزالى : (وهى تتساءل) أبى ؟

ليزيموند : أى بنيتى ؟

روزالى : كنستانس . . دورفال . . كل منكما جدير بالآخر .

ليزيموند : (لكنستانس ودورفال) : لقد فهمت ماترغبان فيه اقتربا منى يا ولدىّ ، اقتربا منى انكما تزيدان سعادتى (ويقترب دورفال وكنستانس بوقار من ليزيموند ويأخذ الشيخ الطيب يد كنستانس ويقبلها ثم يقدم لها يد ابنه فتأخذها كنستانس ، ليزيموند يبكى ويمسح دموعه بيده ثم يقول) : هذه دموع الفرح وستكون آخر دموع انى أترك لكما ثروة طائلة لتتمتعا بها . ان ثروتى لم أجمعها قط أبدا على حساب شرفى وأمانتى فيمكنكما ياولدى امتلاكها دون شعور بتأنيب من ضميركما — ياروزالى إنك تنظرين الى أخيك وتنظرين الى بعينيك المبللتين

بالدموع ـ سوف تعلمين كما قلت لك كل شيء يابنيتى . . ولكن اعف أباك . . اعف أخاك الرقيق المرهف الحس من هذا الاعتراف فان السماء التى أذاقتنى المرارة طول حياتى لم تحتفظ لى بلحظات صافية الا بهذه اللحظات الأخيرة فاتركينى يابنيتى أتمتع بها . . وقد أتفقنا على كل شيء فيما بيننا . . يابنيتى خذى : هذا بيان بما أملكه . .

روزالـى : أبـى . . . .

ليزيمونـد : خذيه يابنيتى ـ انى عشت وقد حان الوقت لان تعيشا أنتما بدوركما وان أكف أنا ، فلو أراد الله لى هذا غدا فلن أكون آسفا . . خذ يابنى تلك رغباتى الاخيرة ، أعتقد أنك ستحترمها ولكن لاتنس أندريه صاحب الفضل على بأن أموت مسرورا بينكما . . انى سأتذكر أندريه ياروزالى عندما تقفلين عينى بيديك وسوف تريان ياولدى أنى لم أسترشد الا بحنان قلبى عليكما وكنت لا أفرق في الحب بينكما وما فقدته من أموالى شيء ضئيل تتحملان معا خسارته

روزالـى : ماذا تقول يا أبى ؟ . . انى قد تسلمت . . (وتقدم لأبيها الحافظة التى أرسلها لها دورفال) .

ليزيمونـد : لقد تسلمت . . أرينى . . (ويفتح الحافظة ويفحص محتوياتها ويقول) : انك وحدك يادورفال يمكنك أن توضح هذا اللغز ان هذه أوراقك ـ تكلم وقل كيف وصلت الى يدى أختك ؟

كليرفيـــل : (بسرعة) لقد فهمت كل شيء . لقد عرض حياته للخطر من أجلى ، وكان سيضحى بثروته لصالحى

روزالى : (لكليرفيل) وبهواه ! كنستانس : (لكليرفيل) وبحريته ! كليرفيـــل : آه ! يا صديقى (يقبله)	(وينطق الجميع هذا الكلام بمنتهى السرعة ونقريبا معا حتى أنهـــا تسمـــع في نفس الوقت)

روزالـــى : (وهى ترتمى في أحضان أخيها وتغض طرفها) : أخى . . . .

دورفـــال : (وهو يبتسم) : كان عذرى جنونى ، أما عذرك فطفولتك .

ليزيمونـــد : يابنى ماذا يريدون ان يفعلوا لك ؟ لاشك أنك ضربت لهم بنفسك مثلا فذا أثار اعجابهم وفرحهم بك ، ولا يتأتى لأبيك أن يشاركك هذا الحظ .

دورفـــال : يا أبى إن فرصة اللقاء بك قد أسعدتنا جميعا .

ليزيمونـــد : انى أدعو الله الذى يبارك الآباء بيد الأبناء ويبارك الأبناء بيد الآباء أن يمن عليكم بأبناء مثلكم . .يردون لكم كل هذا الحب الذى تكنونه لى .

***

فهرست

★ ★ ★

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان أنوى	القبّرة (جان دارك)
٣	هال بورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيراس راتيجان	الاسكندر المقدوني او قصة مغامرة
٨	تييرى مموتييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة و غيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللامعقول
١٢	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الاب
١٣	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعود
١٤	بيتر قايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١٦	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
١٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	ــ رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	ــ انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	ــ تيرانس راتيجان	روس او لورانس العرب
٢٣	ــ كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	ــ وليم شكسبير	هاملت
٢٥	ــ نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦/١	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ــ ١ نساء تراخيس
٢٧/١	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ــ ١ ١ ــ رجل الله ٢ ــ القلوب النهمة
٢٨	ــ انريكى خارديل بونتلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩/٢	اوجست ستراندبرج	(من الاعمال المختارة) ستراندبرج ــ ٢ ١ ــ الاقوى ٢ ــ الرباط ٣ ــ الجرائم انواع ٤ ــ موسيقى الشبح
٣٠	ــ بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١/١	ــ جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ــ ١ ١ ــ حكاية فاسكو ٢ ــ السيد بوبل
٣٢	ــ هـ.و.فيرمان	إنتصار حورس
٣٣/١	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ــ ١ ١ ــ بيوت الارامل ٢ ــ العابث
٣٤	ــ فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ــ قرافة السيارات ٢ ــ فاندو وليز ٣ ــ الشجرة المقدسة

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٥/٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ اوديب الملك ٢ ـ اوديب فى كولون ٣ ـ اليكترا
٣٦/١	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكترا ٢ ـ لن تقع حرب طراودة
٣٧/١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ١ ـ المغنية الصلعاء ٢ ـ الدرس ٣ ـ جاك او الامتثال ٤ ـ المستقبل فى البيض ٥ ـ الكراسى
٣٨	كوبسر ـ تشيرشل ـ شارب ـ بيرمانج	مسرحيات اذاعية
٣٩/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ روما لم تعد فى روما ٢ ـ المحراب المضىء او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شيطانة الغابة ٢ ـ الخال فانيا المنتما
٤١/٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهاجر بريسبان ٢ ـ البنفسج
٤٢/١	لويجى برانديلو	(من الاعمال المختارة) لويجى برانديلو ـ ١ ١ ـ ديانا والمثال ٢ ـ الحياة عطاء ٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستفن ((د)) ٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٤/٤	اوجست سترندبرج	من الاعمال المختارة ـ سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الفرماء ٢ ـ الأميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٤٥/٣	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت
٤٦/٢	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢ ١ ـ سدوم و عمورة ٢ ـ مجنونة شايو
٤٧/٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايا الواجب ٢ ـ مرتجلة الما ٣ ـ سفاح بلا كراء
٤٨/٣	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٣ ١ ـ طريق القمة ٢ ـ العالم المكسور
٤٩	البى ـ شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى ٢ ـ الطابعان على الآلة
٥٠	ارمان سالاكرو	الارض كروية
٥١/٢	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) برنارد شو ـ ٢ ١ ـ السلاح و الانسان ٢ ـ كانديدا ٣ ـ رجل المقادير
٥٢/٢	هارولد بنتر	الحارس
٥٣	مارتنيس دى لاروزا	ابن امية او ثورة الموريسكيين
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو باييخو	القصة المزدوجة للدكتور بالمى

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٦	يوريبيديس	● الكترا ● أورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرناني
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٢ ١ ـ سجاناريل ٢ ـ المتحذلقات المضحكات ٣ ـ مدرسة الأزواج ٤ ـ الطبيب الطائر ٥ ـ غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	١ ـ المهرجون ٢ ـ قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	قصة حياة
٦٣	جون جي	أوبرا الصعلوك
٦٤	دينس ديدرو	الابن الطبيعي

* * *

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بيزا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

فى هذا العدد

« الابن الطبيعى » تأليف : دينس ديدرو

نقدم الى كل اسرة تتمسك بالفضيلة ويرتبط اعضاؤها برباط المحبة الصادقة والوفاء والأخلاق ويضحى افرادها لاسعاد بعضهم البعض والى كل اب يؤدى رسالته نحو ابنائه يحنو عليهم ويعدهم اعداداً سليما لمجابهة صعاب الحياة ومخاطرها ، وينشئهم تنشئة فاضلة ليكونوا نواة لمجتمع سوى مترابط تسوده المودة والاخاء .

الى كل هؤلاء نقدم هذه المسرحية علها تلقى الضوء وتنير الطريق امام من يقراها — ليسير فى دروب الحياة الوعرة وطرقها المتشعبة مسترشدا بالخلق القويم مقدما الخير على الشر محاولا تعديل سلوكه وتهذيب خلقه وتربية ضميره على الفضيلة والبعد عن الرذيلة لتسمو روحه حتى تعود شفافة خالية من الشوائب .. والعبرة التى نخرج بها من قراءة هذه المسرحية هي الايثار ونكران الذات فى سبيل اسعاد المحيطين بنا ، فتجد بطل المسرحية يؤثر البطلة على نفسه ويهبها كل ثروته بعد ان منيت بخسارة فادحة لضياع ثروة والدها ، وقد فعل ذلك بطريقة لا يتسرب اليها الشك فى انه عطف عليها حتى لا يجرح شعورها فقام بتحويل ثروته الى البنك باسمها وفى الوقت نفسه جعل احدى شركات التامين تبعث اليها برسالة متضمنة بأن ثروة والدها مؤمن عليها ، وقد تم هذا الاجراء دون ان يعلم ان البطلة أخته .. فالايثار ونكران الذات هما الحكمة التي تعالجهما هذه المسرحية .